

اليهود في عصر المسيح

عليه السلام

تأليف

سيد محمد عاشور

خريج كلية التجارة - جامعة القاهرة

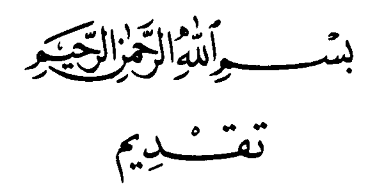
وتاجر أقمشة بالحمزاوي بالقاهرة

دار القلم

دمشق

الدار الشامية

بيروت



تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور
رمضان عبد التوّاب
العميد السابق لكلية الآداب
جامعة عين شمس ـ القاهرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم، أما بعد:

فهذا كتاب جديد، للحاج السيد عاشور، تاجر الأقمشة المشهور، وهو بعنوان: «اليهود في عصر المسيح». وقد يتعجَّب القارىء الكريم، حين يعرف أنَّ المؤلف الذي يعمل بتجارة الأقمشة، يجيد اللغة العبرية القديمة والحديثة، كما يعرف الكثير من اللغات السامية الأخرى، كالسريانية والحبشية. ومكتبته عامرة بالمؤلَّفات النادرة في هذه اللغات وغيرها، ويؤمّها طلّاب البحث العلمي في الجامعات المصرية على امتداد الوطن العزيز، وهو لا يبخل بعلم أو جهد أو وقت في سبيل نشر المعرفة في كل مكان.

وقد ملأ الحاج السيد عاشور المكتبة العربية بالكثير من المؤلفات النافعة، في هذا الميدان الخطير من ميادين المعرفة، فله عدة مؤلفات عن التشريع اليهودي في الصوم والمرأة والحرب والربا والتجارة وغير ذلك.

وقبل عامين قدَّمنا له كتاباً مهماً عن «العامية المصرية» وتأثّرها باللغات المختلفة التي اتصل المصريون بأصحابها منذ زمان بعيد.

وقد أشادت الصحف والمجلات بجهود هذا العالِم الفاضل، وأبرزت إسهاماته المختلفة، وأشار بعض الكتّاب إلى ما يتحلّى به المؤلف من الصبر والجَلَد، والدقة والأمانة، وتواضُع العلماء، وإخلاص الباحثين المحقِّقين.

وكل هذه الظواهر الطيبة في علم الرجل وسَعَة اطلاعه، تؤكد لنا شيئاً مهماً عرفناه عند كثير من عمالقة هذا البلد الطيب، وهو أنَّ الأمر ليس أمر شهادات، وكلنا يعرف أنَّ العقَّاد لم تتجاوز دراسته الشهادة الابتدائية، والحاج السيد عاشور خريج كلية التجارة لا كلية الآداب، ولكن تعطُّشه للعِلم والمعرفة من جانب، واختلاطه بالتجار اليهود في الموسكي والحمزاوي في النصف الأول من هذا القرن، من جانب آخر، وصحبته للعلماء العاملين المخلصين في ميدان اللغات السامية من أمثال شيخنا النابغة الأستاذ الدكتور حسن ظاظا من جانب ثالث، كل هذه الأمور جعلت من تاجر الأقمشة الطموح عالِماً ثَبْتاً في هذا التخصص العويص، تخصُّص اللغات السامية ودياناتها وحضاراتها وفنونها المختلفة.

والكتاب الذي نقدِّمه اليوم من أعمال الحاج السيد عاشور، خلاصة وافية لتاريخ اليهود في الحقبة التي ظهر فيها المسيح عيسى عليه السلام، تناولت تاريخ فلسطين منذ عصر الإسكندر الأكبر، إلى بعثة نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام، مروراً بحكم: البطالسة، والسلوقيين، وأنتيوخس الرابع، والمكابيين، وهيرودس الكبير وقاتِل يوحنا المعمدان، والسامريين، والصدوقيين، والفرِّيسيين وغيرهم.

ولم ينسَ المؤلف أن يعالج شيئاً من المذاهب الفلسفية، والأحوال الاقتصادية، والتشريعات اليهودية في فلسطين قبل ظهور المسيح وفي عصره.

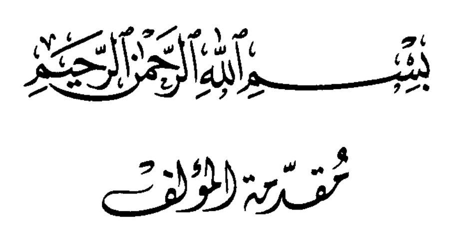
وفي فصل بعنوان: «عيسى يباشر عمله» تحدَّث المؤلف عن الحواريين، والأناجيل، وفكرة الخلاص، واشتقاق كلمة «يسوع» وهو اسم عيسى عليه السلام بالآرامية، كما تحدَّث عن المهدي المنتظر وقصة صلب المسيح عليه السلام.

ويختم المؤلف كتابه بالحديث عن اللغات التي كانت سائدة في فلسطين في عصر ظهور المسيح، وهي: الآرامية، والعبرية، واليونانية، واللاتينية.

ولا نملك نحن إزاء هذا الجهد النادر إلّا الدعاء الخالص للمؤلف بالصحة والسعادة وطول العمر، وتحية من الأعماق لك يا صديق العمر من صاحب هذا القلم.

والله الموفِّق للصواب ؟

أ. د. رمضان عبد التواب



بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، وبعد:

فقد دعاني إلى تأليف هذا الكتاب عدة أمور، من أهمها ما يأتي:

١ ــ غموض الفترة التاريخية التي أكتب عنها، وهي التي تشمل فترة ظهور المسيح، والتي تمتد حوالي مائة سنة قبل ولادته عليه السلام، وتمتد بما يقرب من الخمسين عاماً من انتهاء حياته على أرض فلسطين.

٢ ــ كانت حالة فلسطين سيِّئة لكثرة الحكّام والمستعمرين واختلاف جنسياتهم ورغباتهم، فالحكّام السلوقيون الذين جاؤوا بعد البطالسة، ثم حُكْم الرومان وما نتج عنه من رغبات مختلفة ومتعددة لهم أدَّى إلى تأخُّر فلسطين.

٣ ــ كانت فلسطين تحت نوعين من الحكم: الحكّام المستعمرون، ثم الحكّام المحلّيون، وهم فئة رجال الدين، مما أدَّى إلى تنازع الحكّام، والذي ساق فلسطين إلى هاوية الدمار.

٤ ــ ظهور أنبياء مثل سيدنا يحيى عليه السلام، وكذلك سيدنا عيسى، وكان لكل منهما طريقته الخاصة في التبشير مما جعل فلسطين في

ثورات دائمة، سبَّبها قيام الشعب ضد حكّامه وضد رؤسائه الدينيين. فسيِّدنا يحيى يقف معارضاً للحاكم هيرودز لأعماله السيِّئة غير الشرعية من ناحية، بينما تجد سيِّدنا عيسى يقف معارضاً للحكّام الدينيين لما كانوا يبشرون الشعب بما لا يوافق الشريعة اليهودية في كثير من المسائل.

٥ ـ النزاع الدائم بين الطوائف الدينية التي كانت تتحكم في مصير الشعب، فطائفة الصدوقيين يبذلون جهدهم للحصول على المال دون مبالاة لما يلحق الشعب من ضرر وبؤس.

أما الطائفة الثانية وهي طائفة الفرِّيسيين فكانت تظهر للشعب وكأنها الحامية لهم، وكان على الشعب أن يقدِّم لها كل معونة. كل ذلك وضع الشعب المسكين في حيرة وبلبلة.

٦ ـ المنازعات الدينية: ذلك أنَّ الحكّام المستعمرين كانوا وثنيين، بينما نرى الشعب الفلسطيني يدين بالديانة اليهودية، ثم يأتي سيدنا عيسى بديانة جديدة تصحح تلك الديانات المنتشرة، كل هذا فتح الباب على مصراعيه لنزاع انتهى بصلب المسيح كما يزعمون في كتبهم.

أضف إلى ذلك ما بيَّناه من نظم الضرائب التي اتبعها الحكّام، وما سار عليه رجال الدين اليهودي، وكيف أدَّى هذا النظام القاسي إلى ثورة عارمة في وجه هؤلاء الحكّام.

ولم يغفل عن بالنا الكلام عن مواضيع هامة: كالمسيحانية، ومسألة صلب المسيح، وفكرة ظهور المهدي المنتظر. كما بيَّنا موقف سيدنا يحيى عليه السلام ولماذا عارض الحاكم، وموقفه الديني الذي أدَّى إلى قتله، وهو من الشهداء الصِدِّيقين.

وبعد: فإني أتقدَّم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور حسن ظاظا أستاذ

الدراسات العبرية بجامعة الرياض، كما أتقدَّم بشكري الخالص إلى أستاذي الجليل الدكتور رمضان عبد التوّاب عميد كلية الآداب في جامعة عين شمس، كما لا أنسى ما قدَّم لي الأستاذ الدكتور عمرو عبد الباقي أستاذ اللغة التركية من بعض الملاحظات، فشكراً له.

وأنهي مقدمتي هذه بتقديم الشكر لكل من ساعدني في هذا البحث.

وما توفيقي إلَّا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب.

القاهرة في يونية ١٩٩٢م

سيد محمد عاشور

الفَصْل الأوَّل

حُكَّامُ فِلَسْطِيْن
مِنْ عَصْرِ الإسْكَنْدَرِ حَتَّى عَصْرِ المَسِيْح
عَلَيْهِ السَّلام

حالة فلسطين منذ عصر الإسكندر الأكبر

كانت فلسطين تابعة للفرس قبل استيلاء الإسكندر عليها وانتصاره على الفرس سنة ٣٣٢ق.م.

وبعد وفاة الإسكندر انقسمت ممتلكاته التي كانت تضمُّ: مصر، وفلسطين، والعراق، وجزءاً من الهند، بين خلفائه وقوَّاد جيشه. وكانت فلسطين تابعة لمصر، وحكمها البَطَالسة بعد انتصارهم على السلوقيين في موقعة «السوس»، وظلوا يحكمونها من سنة ٣٠١ق.م إلى سنة ١٩٨ق.م. وفي هذه السنة قامت الحرب بين السلوقيين ـ حكام سوريا ـ والبطالسة ـ حكّام مصر ـ وانتصر فيها السلوقيُّون على البطالسة في موقعة بانياس، وأصبحت فلسطين تحت حكم السلوقيين حتى سنة ٦٣ق.م، حيث استولى الرومان عليها.

حكم البطالسة لفلسطين

كانت فترة حكم البطالسة لفلسطين فترة حرية وعلاقات حسنة، إذ كان العدل قائماً، ولم يحكم البطالسة شعب فلسطين بالحديد والنار، ومظهر تلك الحرية والعدالة أن البطالسة تركوا حامية صغيرة ولم يتركوا جيشاً ليحتل البلاد، وهذا له مغزاه لدى الشعب الفلسطيني.

كما لم يكن للبطالسة نائب أووالٍ، بل كان لليهود الحرية في حكم أنفسهم بأنفسهم، أي كانوا شبه مستقلين.

وكان لليهود مجلس مكوَّن من شيوخهم ومن الرؤساء الدينيين لديهم، يتولى إدارة الحكم، كما كان لهم حق سك العملة.

وتميز عصر الحكم البطلسي لفلسطين بهجرة كثير من اليهود إلى مصر لحسن العلاقة بين البلدين.

حكم السلوقيين

قلنا إن السلوقيين انتصروا على البطالسة سنة ١٩٨ق.م، وأصبحت فلسطين تابعة لهم، وقد بدأ حكم السلوقيين للشعب اليهودي بعصر الملك أنتيوخس الثالث، وأظهر اليهود باديء الأمر الولاء للسلوقيين، ونَسَوا ما قدَّمه البطالسة، وهذا إنكار منهم لجميل البطالسة، وقد استهل أنتيوخس الثالث أعماله بمنح الشعب اليهودي بعض الامتيازات التي كانت قائمة أيام الحكم الفارسي، وأمر بتحمُّل السلوقيين جميع نفقات المعبد وما يلزمه من أشياء، كما أعفوا كبار السن ورجال المعبد من دفع الضرائب وخفَّضوا بعضها، وبخاصة تلك التي كان السكان يدفعونها لمدة ثلاث سنوات، كما قاموا بإطلاق سراح الأسرى، وإرجاع أموالهم، وأعطوهم الحرية الدينية كما تسمح به شريعتهم.

وقد حلَّ السلام طوال عشر سنوات، ولكنه لم يدم بعد ذلك؛ إذ انهزم أنتيوخس الثالث أمام الرومان سنة ١٨٧ق.م، وتوفي بعد ذلك، فاعتلى العرش سلوقس الرابع، ولم يمكث طويلاً إذ اغتيل، وتولى الحكم بعده أنتيوخس الرابع من سنة ١٧٥ ــ ١٦٣، وكان مركزه حرجاً، إذ أن مصر وروما قد عقدتا حلفاً بينهما ضد أنتيوخس.

حكـم أنتيوخس الرابع

كـان حكم أنتيـوخس الـرابـع لفلسـطين على النقيض من حكم سلفـه أنتيوخس الثالث، إذ أنه اتخذ منهجاً قاسياً قامت بسببه الثورات الشعبيـة، ومن مظاهر قسوته ما يأتي:

١ ـ إلغاء الامتيازات المـالية التي كـانت للمعبد، وذلـك ليسدِّد مـا عليه من غرامات يدفعها للرومان.

٢ ـ بيع الرئاسة الدينية لمن يدفع أكثر. ومن هنا كـان سرعـة تغيير الحـاخام الأكبر، فكان المركز الديني لمن يدفع رشوة أكبـر، فعلى سبيل المثـال كـان الحاخـام أونياس الثـالث هو الحـاخـام الأكبـر الشـرعي، وسلبهـا الكهنـة، لكن أنتيوخس أبـدله بـالحاخـام ياسـون أخي أتياس، ثم عيَّن بـدلهما منـلاوس حاخـاماً أكبـر وهو لا ينتمي إلى أسـرة صادوق، والتي يجب أن يتسلسـل منها أي حـاخـام أكبـر، ويجب أن يكـون من نسـل هارون عليه السلام، واعتبر منلاوس خائناً في نظر اليهود.

٣ ـ عمد إلى نشر الثقافة ـ اليونانية ـ وإحلالها محل الثقافة اليهودية، وإلى تنفيذ القوانين اليونانية بدلاً من قوانين اليهود الشرعية.

٤ ـ دخل أنتيوخس المعبد سنة ١٦٨ وأراد أن يستولي على ما فيه.

٥ ـ منع الذبح في المعبد مخالفاً بذلك شريعة الذبح عند اليهود.

٦ ـ ألغى الختان[١].

٧ ـ حكم على كل من أقام الفرائض الدينيـة يوم السبت والأعيـاد بالمـوت. ومعنى ذلك إلغاء ما جاء في التوراة.

---

(١) انظر: الختان عند اليهود، للمؤلف.

٨ ــ أنشأ مدرسة رياضية كان الشبان يظهرون فيها عـراة، وذلك ممـا أغضب اليهود.

٩ ــ أنشأ تمثالاً للمشتري (نجم) في صحن الهيكل.

١٠ ــ بنى قلعة بجوار أسوار الهيكل[١].

الثورة على حكم أنتيوخس الرابع

كان للمنهج السيء الـذي نهجه أنتيـوخس قِبَل شعب فلسـطين، وإلغاء القوانين اليهودية ــ الدينيـة ــ ، أن ثار الشعب اليهـودي في فلسطين، وقـامت الحـروب بين الشعب وبين حكومـة أنتيوخس، وكـان من أهم مظاهـرهـا قيـام المكابيين وقيادتهم للحرب ضد السلوقيين، كما هرب بعض رجـال الدين إلى مصر وأنشؤوا معبداً على غرار هيكل القدس وهو ما سمي معبد أونياس.

معـبـد أونيـاس

قلنـا إن أنتيوخس الـرابـع عمـد إلى تعيين الحـاخـام الأكبـر عن طـريق الـرشوة، دون التـطلع إلى الشريعـة وما تقضي بـه من كيفيـة تعيين الحـاخـام الأكبـر، وأدَّى ذلك إلى هجـرة بعض رجـال الـدين وعلى رأسهم أونيـاس إلى مصر وهو حفيد أونياس الذي كان حاخامـاً أكبر، وأسس معبـداً في ليتوبـولس (تل اليهودية)[٢]، وشيَّده على غرار معبد القـدس وجعله مزاراً لليهـود[٣]، وقد شجعه على ذلك بطليموس حاكم مصر.

وظل هذا المعبد يزار بل زاد عدد زواره بعـد خراب بيت المقـدس سنة ٧٠م، ثم خرب أيام تراجان إمبراطور روما.

---

(١) تاريخ شعب اليهود.

(٢) انظر: كتاب بلبيس بلد الأنبياء، للمؤلف.

(٣) المرجع السابق نفسه.

كان بطليموس يعمد إلى تشجيع معبد أونياس لأسباب متعددة، منها:

١ ـ جذب أكبر عدد من اليهود، وبخاصة الحجاج وهذا يفيد مصر من الناحية المالية، وكذا رفع اسم مصر دولياً، حيث إن اليهود خارج فلسطين يحجون إلى معبد أونياس في مصر.

٢ ـ كان النزاع بين البطالسة والسلوقيين على أشده، فكان دخل هيكل القدس ضعيفاً، لأن الكثير من الحجاج اتجهوا إلى معبد أونياس.

٣ ـ أدَّى قيام معبد أونياس إلى التفرقة بين الشعب اليهودي، إذ أصبح بعضهم يميل إلى مصر.

● ● ●

المكابييـون (الحشمونائيـم)

المكـابييون أو الحشمـونائيم هم عـائلة يهوديـة رئيسها «متـاتيا»[1] ولـه خمسة أولاد، هم: يهوذا، ويوناتان، وشمعون، ويوحنا، وأليعازر.

وقد قامت هذه العائلة بثورة ضد أنتيوخس الرابع.

فقد عرفنا كيف أن أنتيوخس الرابع أراد تغيير الطقوس الدينية اليهوديـة واستبدالها بالديـانة الـوثنية اليـونانيـة، فمثلاً أمـر بذبـح الخنازيـر في ساحـة الهيكـل، كذلـك منع الختـان، كما أمـر بتعليق الصور الـوثنيـة على هيكـل القدس، كما أمر بعدم قـراءة التوراة وغيـر ذلك ممـا اعتبره اليهـود تعدٍّ على ديانتهم.

* * *

قـام متـاتيـا وأولاده ومعـه بعض اليهـود في وجـه أنتيـوخس مخـالفين أوامـره، وبدأت الحـرب بسبب أعمالـه سجالاً بينهمـا منذ سنـة ١٦٨ق.م، واستمرت حتى سنة ١٦٥، وتمكن اليهود من الانتصار عليـه، وتمكن اليهود بذلك من استرجاع الهيكل، واقتحموه ونظّفوه، وأوقـدوا فيه الشمـوع ثمانيـة أيام، وسمِّي هذا الافتتاح عيد حَنُوكا، ويُحتفـل به في ٢٥ من شهـر كسليف من كل سنة (كسليف: اسم أحد الشهور اليهودية).

---

(١) وسميت هذه العائلة باسم «المكابييون» لأن كلمة مكابـي معناها المطرقـة، وكانـوا يحملون المطارق في أيديهم.

بقي أولاد متاتيا في نزاع مستمر بعد ذلك، وأصبحت فلسطين مرة أخرى في قلاقل انتهت بتولي شمعون أحد أولاد متاتيا الحكم، وأمكنه أن يستقل بالبلاد وأن يضرب النقود باسمه. إلَّا أن فترة حكمه لم تدم طويلاً، ثم تولى ابنه يوحنا هركانوس الحكم لمدة ثلاثين سنة امتلأت بالحروب الخارجية، كحربه مع أدوم، وبالقلاقل الداخلية كوقوفه ضد الفريسيِّين الذين اعتبروه غير صالح للحكم، لأن أمه ليست يهودية، بل هي مسبية تزوجها أبوه شمعون.

وبعد وفاة يوحنا هيركانوس تولَّى بعض خلفائه مثل إسكندربانوس، ثم زوجته إسكندره.

وخلفها اثنان من أولادها هما: أرسطوبوليس الثاني، وهركانوس الثاني، وحدث نزاع بينهما، واستنجد أحدهما وهو هركانوس الثاني بروما، فتدخلت وأصبحت هي التي تحكم فلسطين منذ سنة ٦٣ق.م، وهكذا دخلت فلسطين تحت الحكم الروماني وأصبحت ولاية رومانية.

روما وفلسطين

تركت روما حكم فلسطين لعائلة المكابيين اسماً، وكانت تنصب عليها نائباً عن السلطة الرومانية، وكان الحكم العملي في يد هؤلاء النواب.

كان من أهم النواب الذين حكموا فلسطين:

١ ــ هيرودز الكبير.

٢ ــ هيرودز أنتياس بن هيرودز الكبير.

وفي أثناء توليهما قضى الاثنان على ما بقي من أسرة المكابيين وانتهت بذلك هذه السلالة.

آثار حرب المكابيين

١ ـ أثارت حماس اليهود ضد الحكم الأجنبي.

٢ ـ استرجاع الهيكل ونشأة عيد حنوكا.

٣ ـ المحافظة على الديانة اليهودية.

٤ ـ ظهور الطوائف الدينية والنزاع بينها وبين الحكام.

٥ ـ استعانة الحكام المكابيين بالأجانب، وقد أدى هذا الأمر إلى ضعفهم واستيلاء هؤلاء الأجانب على الحكم، فمثلاً بدأ يوحنا هركانوس بالاستعانة بأنتياتر الأدومي المتهوِّد المكروه من قبل الشعب اليهودي، ثم قام أنتياتر بتعيين أولاده في الحكم، مما قضي على المكابيين أخيراً، فهيرودز الكبير بن أنتياتر، ثم هيرودز انتياس بن هيرودز الكبير هما اللذان قضيا على باقي أسرة المكابيين، فاستخدام المكابيين للأجانب كان سبباً في القضاء على هذه الأسرة التي احتضنتهم، وعندي أن التاريخ يعيد نفسه، فالدولة العباسية قد استخدمت منذ أيام المعتصم بن هارون الرشيد الترك في الجيش، وانتهى الأمر باستيلاء الترك على السلطة، وسجن وقتل بعض الخلفاء العباسيين، وهكذا نرى جزاء سنمار يتكرر في كل حين وحين.

• • •

فلسطين تحت حكم الرومان

هـيرودز الكبـير

حكم هيرودز الكبير على جزء من فلسطين من قبل إمبراطـور الرومـان المدعو أغسطس أكتافيوس.

وهيرودز هذا هو ابن أنتياتر الأدومي الأصيل المتهوِّد.

تولى هيرودز الحكم نيابة عن الإمبراطور الـروماني، وأخـذ يعمل على تثبيت حكمه ليرضي السلطة الرومانية دون أن يرعى أولاً مصلحة شعبه.

أعماله أثناء حكمه

١ ــ عمد إلى إنفاق أموال كثيرة على المباني ليظهر أهمية ملكه.

٢ ــ أنشأ معبداً يقلِّد فيه معبد سليمـان، ووضع على المعبـد صورة النسـر اليوناني، ولم يستعمل هذا المعبد لخدمة الفرائض الـدينية اليهـودية، ولكن استعمله لنشر الثقافة اليونانية، مما أغضب الشعب اليهودي.

٣ ــ زيادة الضرائب بسبب كثرة الإنفاق، وتجهيـز الجيش لمصلحة رومـا، دون أي فائدة تعود على الشعب اليهودي.

٤ ــ عمد إلى قتل جميع ما بقي من أسرة المكابيين والتخلص منهم.

٥ ــ عني بتحسين مدينة أريحا وجعلها مصيفاً له.

٦ ــ بنى المساداة، وهي قلعة مشهورة تقع في الجانب الغربي للبحر الميت. كما بنى مدينة قيصرية ومدينة سيستا تخليداً لذكرى الإمبراطور أغسطس وزوجته.

٧ ــ قتل ثلاثة من أولاده وامرأته مريام.

٨ ــ بنى برج أنطونيا الذي كان يشرف على الهيكل مما أغضب اليهود.

٩ ــ أعاد بناء أسوار العاصمة وبناء الهيكل.

١٠ ــ ضم إلى مملكته غزة وأريحا والسامرة.

لماذا كره اليهود هيرودز الكبير؟

لقد كره اليهود هيرودز الكبير للأسباب الآتية:

١ ــ فتك ببعض كبار الحشمونائيم (أسرة متاتيا)، وكانت لهم في نفوس الشعب اليهودي منزلة كبرى فغضب اليهود لذلك.

٢ ــ عمل على التشبه بأنتيوخس الرابع، وأراد أن يطبع البلاد بطابع المدينة اليونانية، فبنى مسرحاً، وشيّد مدرجاً للألعاب، وأقام حفلاً على شرف أغسطس.

٣ ــ عمل على تعيين الرؤساء الدينيين بالرشوة لا بالعلم أو الكفاءة.

٤ ــ كان يجبر اليهودي على أن يحلف للملك وللقيصر، وهذا ضد الشريعة اليهودية، وبسبب ذلك ثار الفريسييون ضده.

وفي أواخر عهده وُلد المسيح عليه السلام وهرب هو وأمه ويوسف النجار إلى مصر، ورجع إلى فلسطين بعد موت هيرودز.

هيـرودز أنتيـاس

تولَّى هيرودز أنتياس الحكم بعد وفاة أبيه هيرودز الكبير، وكانت ولاية حكمه هي منطقة الجليل.

ولد هيرودز سنـة ٢٠ قبل الميـلاد وتوفي سنـة ٣٩م، وقد حـرص من أجل تثبيت حكمه على القيـام بكل عمـل يرضي السلطة الـرومانيـة، فأنشـأ مدينة طبريا تخليداً لذكرى الإمبراطور طبيريـوس، كما أنشـأ قلعة مـاكيروس وهي التي سجن فيهـا النبـي يحيـى عليـه السـلام، كمـا علَّق بعض الصـور الوثنية على السور.

كما قتل النبـي يحيـى عليه السلام بسبب معارضته لطلاق امرأة فيلبس أخي هيرودز وزواجها من هيرودز، لأن ذلك مخالف للشريعة اليهودية[1].

وقـد وصفه المسيـح بأنـه ثعلب كمـا جـاء في إنجيـل لـوقـا إصحـاح ١٣/٢.

مدينــة قيصـريــة

تشيـر المصادر التـاريخية أن مـدينة قيصـريـة كـانت من أجمـل مـدن الساحل الفلسـطيني، وكان هيـرودز الكبير قـد جمّلها بـالمباني على الـطراز اليوناني، وقد سميت قيصرية إكراماً للإمبرطور أغسطس، وقد استغرق بناؤها حوالي اثني عشر عاماً، ويتوسط المدينة هيكل لأغسطس ارتفع عليـه تمثالـه الذي كان يواجه البحر[2].

● ● ●

(١) انظر: تفصيل هذه القصة عند الكلام على سيدنا يحيـى.

(٢) انظر: سالومي أميرة الجليل، تأليف هنري ونكر، ترجمة إبراهيم مطر، ص ٢.



الفصل الثاني

الفِرَقُ اليَهُودِيَّةُ في عَصْرِ المَسِيحِ

عليه السلام

[١]
الحسيديم[١]

ظهرت هذه الطائفة أثناء حرب المكابيين، ويسميها بعض المؤرخين طائفة الأتقياء. وقد انضمت إلى المكابيين في حروبهم ضد الرومان، وبقيت تجاهد معهم، ولكنها عندما انتهت الحرب اعتزلتهم على أساس أن دعوتهم دعوة دينية، وأن الحرب انتهت وبدأ السلام، وأن مهمتهم دينية وليست حربية، وأنكروا على المكابيين استمرارهم في النزاع بينهم وبين السلوقيين.

[٢]
الكَتَبة

يعتبر عصر الكتبة عصراً جديداً في الديانة اليهودية، إذ أصبح للكاتب مركزاً يضارع مركز الحاخام.

كان الكاتب يقوم في أول الأمر بنسخ الكتب الشرعية، ومنذ ذلك الوقت بدأ يمارس الإفتاء في بعض المسائل الشرعية. بينما كان بعضهم يشتغل بالسياسة، وهذا ما تقرأه في سفري الجامعة وسيراخ. وأخذت هذه

(١) الحسيد: كلمة عبرية معناها: تقي.

الطائفة تقوى حتى أصبح لها شأن يذكر في إدارة الدولة والتعليم، حتى أخذوا لقب «راب» وهو لقب الكاتب المدرِّس.

أما لقب «رابي» فيطلق على الكاتب غير المدرِّس. على أن لقب رابي انتشر أكثر في عصر الإنجيل، ثم أخذ بعد ذلك يقل شيئاً فشيئاً حتى حلَّ محل هذا اللقب كلمة معلِّم، وهي التي كان الحواريون ينادون بها سيدنا عيسى عليه السلام ويقولون له يا معلِّم.

قلنا إن كثيراً من الكتبة تدرَّجوا في المناصب الكبرى، وأصبح منهم قضاة لهم من الفتاوى والأحكام الشيء الكثير، كما كان منهم أعضاء في السنهدرين، ولنضرب لك مثالاً على إحدى فتاواهم: «بيت يحترق يوم السبت، هل يسمح لك بإنقاذ ملابسك من النار؟ يقولون يمكن أن تنقذ ملابسك الضرورية فقط. أما باقي المنزل فاتركه يحترق».

وهكذا كان لهم فتاوَى في مسائل الزواج والطلاق والصيام والصلاة وغيرها من الفرائض الدينية، مما كان يقلق الشعب اليهودي لاختلاف الآراء وتباين الوجهات، ومثال هذا التباين ما نراه من اختلاف بين آراء عالِمَين من كبار علماء اليهود ألا وهما: هلِّيل وشمَّاي، فقد اختلفا في مسألة الطلاق.

يقول العلاَّمة هلِّيل: يمكن للزوج أن يطلق زوجته إذا قدَّمت لزوجها أكلة غير مطبوخة جيداً.

أمَّا العلاَّمة شمَّاي فيقول: لا يحل للزوج أن يطلق زوجته إلاَّ لعلة الزنى.

وقد أخذ سيدنا عيسى عليه السلام بهذا الرأي، إذ أن أحد اليهود الفرِّيسيين سأله عن سبب الطلاق فقال: بعلة الزنى فقط.

[٣]

السـامـريـون

السامريون فرقة دينية تنتسب إلى مدينة السـامرة القـديمة التي هي في منطقة نابلس الحالية، وكانت السامرة عاصمة مملكـة إسرائيل، ويشرف على هذه المدينة جبل مقدس اسمه جرزيم. وتقول التوراة أن سيدنا يعقوب عليه السلام ـ وهو الجد الأعلى لليهود ـ قـد بنى معبده المكـرَّس للرب في هذا المكان وسماه بيت إيل، وهكذا يـزعم السامـريون أنهم البقيـة الباقيـة على الدين الصحيح، وأن القبلة كانت تتجه إلى بيت إيل نحو جبل جرزيم.

عقيـدة السامر ييـن:

أهم عقائد السامريين هي:

١ ـ الإيمان بإله واحد.

٢ ـ إن هذا الإله روحاني فقط.

٣ ـ الإيمان بأن موسى رسول الله وأنه خاتم رسله.

٤ ـ الإيمان بتوراة موسى وتقديسها وأنها كلام الله.

٥ ـ الإيمان بجبل جرزيم المجاور لمـدينة نـابلس، وهو المكـان المقدس الحقيقي، وهو القبلة الحقيقية لبني إسرائيل وليس هيكل سليمان.

٦ ـ لا يؤمنون بنبوة الأنبياء الذين جاؤا بعد سيدنا موسى عليه السلام.

٧ ـ يؤمنون بأسفار موسى الخمسـة التي جاءت في التـوراة وبسفر يـوشع، ولا يؤمنون بباقي ما جاء في التوراة.

لهذا كانت فرقة السامريين مكـروهة من بـاقي الطوائف الأخـرى، وقد قامت تلك الكراهية على أسباب كثيرة، منها:

١ ــ يرى اليهود أن السامريين هم البقية الباقية من الغرباء الذين عاشوا في فلسطين في فترة ما بعد السبي. إذ يعتقدون أن الآشوريين أتَوا بأجناس أخرى سكنت منطقة السامرة، ومنهم هؤلاء، فهم إذن ليسوا يهوداً.

٢ ــ أطلق بعض علماء اليهود على طائفة السامريين اسم خيزان السباع. ويرد عليهم السامريون بأنهم ينتسبون إلى هارون أخي موسى، ويسمون رئيس كهنتهم بالحَبْر الأعظم.

٣ ــ يعتبر اليهودُ السامريين أجانب، ولهذا لا يحق لهم أن يقربوا الهيكل لأنهم نَجَس، ويدنسون الهيكل إذا دخلوه.

٤ ــ نابلس مدينة أقامها الإمبراطور الروماني فِسْبازبان الذي خرَّب ابنه تيتوس الهيكل سنة ٧٠ م بأمرٍ منه، فكيف يحج إليها اليهود وهي من منشآت الرومان، ثم هي مجاورة لجبل جرزيم الذي لا يعتقدون بقدسيته؟! وهكذا نجد اليهود لا يقيمون شأناً لنابلس بل لقد حرموا السفر إليها!!

٥ ــ اتجاهُهم في الحج والقبلة نحو جبل جرزيم وليس إلى هيكل سليمان في القدس.

[٤]
الصدوقيُّون

الصدوقيُّون فرقة يهودية ظهرت أوائل القرن الثاني قبل الميلاد، وأخذت مكانتها الدينية في القرن الأول الميلادي.

اعتبرت فرقة الصدوقيين أنها تنتسب إلى صادوق أحد رجال سيدنا

داود عليه السلام الدينيين، بينما اعتبر آخرون أنهم ينتمون إلى هارون أخي سيدنا موسى عليهما السلام.

ويهمنا من أمر هذه الفرقة منهجهم الديني والاقتصادي والسياسي أمام الشعب والدولة المستعمِرة:

١ ـ اعتقدت الفرقة أنها هي وحدها الحافظة للناموس (أي الشريعة اليهودية)، وأنها ضد التقاليد التي دخلت بسبب الاستعمار الأجنبي.

٢ ـ كان أعضاؤها يميلون إلى جمع المال مجاراة للمستعمر في بعض المسائل، وبخاصة ما يدر عليهم أموالاً كثيرة. وكان تعلقهم بالحضارة اليونانية واضحاً جداً.

٣ ـ اكتفى الصدوقيُّون بما جاء في التوراة، وليس هناك ضرورة لأقوال الفقهاء أو المفسرين، وتبع ذلك عدم اعترافهم بالبعث والآخرة، ولكن مع ذلك لا نسمِّيهم بالماديين، كما أنهم لا يعتقدون بالملائكة.

وكان الصدوقيُّون يهتمون بجمع المال بشتى الطرق والوسائل، ولم يشجعهم الشعب على جشعهم وطمعهم، وكانوا يحتكرون بيع الحمام للحجاج في الهيكل، ويكسرون قاعدة الراحة يوم السبت ويقولون لا سبت في الهيكل. كما أنهم يقومون بالأعمال التجارية مع بيع وشراء وصيرفة وغير ذلك، وكانوا يوقدون النار، ويطبخون، ويختنون الأطفال، ويتناولون النذور، وكل هذا كان محرماً يوم السبت بحسب الشريعة اليهودية.

ومن مبادئهم:

١ ـ أنهم يصرُّون على شريعة: العين بالعين[1]، والسن بالسن،

(١) انظر: كتاب (المسيح) لعباس محمود العقاد.

ولا يقبلون الدية وقد فعل حمورابي ذلك من قبل.

٢ ـ يقولون بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة، فالمسائل الدينية يجب ألا تقف عقبة في سبيل تحقيق غاية سياسية أو مالية، والانحراف جائز إذا أدّى إلى تحقيق الغاية.

٣ ـ شعارهم الوطن أولاً، ثم الدين ثانياً.

٤ ـ الإنسان مخيّر وسيد لنفسه.

٥ ـ الثواب والعقاب من عمل الإنسان وإن المرض هو العقاب.

٦ ـ الإيمان بالله والتمسك بالشريعة لا يكفيان لسلامة الدولة.

وقد كان الشعب يكره الصدوقيين لأنهم كانوا يفرضون عليه الضرائب الكثيرة، ولم يكن الشعب اليهودي يستفيد مما يدفعه، بل كان ذلك يذهب إلى جيوب طائفة الصدوقيين، ويزيدهم غنى إلى غناهم.

[٥]
الفرِّيسيُّون

الفريسيُّون فرقة ظهرت في القرن الثاني قبل الميلاد، وكان أول ظهورها على مسرح الحياة عندما وقفت في وجه الملك يوحنا هركانوس ابن شمعون بن متاتيا رئيس أسرة المكابيين.

أما مبادِئهم فهي:

١ ـ كان الفرِّيسي يرى أنه أعلى درجة من باقي الشعب، ويقول إنه وحده هو المقبول عند الله، ولذا كانوا متعصبين.

٢ ـ كان الفريسيُّون يرون أنه من الواجب احترام الناموس (الشريعة)، ومن لم يحترمها يعد كافراً.

٣ ــ كان من الواجب عندهم احترام السلف الصالح، وأن إرادة الله هي كل شيء.

٤ ــ كان الفريسيُّون يدَّعون أنهم باتباع الناموس يقدمون صورة عصرية تتفق والحياة العملية، وكانوا يطلبون إلى الشعب أن يبدأهم بالتحية في الشوارع، كما أنهم لا يستحون أن يظهروا أنهم يصلُّون في الأسواق اعتقاداً منهم أن الناس تحترمهم وهذا هو النفاق بعينه.

٥ ــ كان الفريسي يحتقر كل يهودي خارج فرقتهم، وعليه أن يلبس الثقلين، وهو عبارة عن صندوق صغير من الجلد، يحتوي على بعض آيات من التوارة، ومربوط بسيرين من الجلد؛ ويضعهما المصلِّي على الجبهة وعلى يده اليسرى.

وكان الفريسي يرى أن عليه أن تتحلّى ملابسه بشالٍ له أهداب يسمى الطليت، وكانوا يُحِلُّون لكل فريسي أن يقف في الشوارع يخطب ويعظ الناس ليعلم الناس أنه فريسي حامي حمى التوراة.

وكانت فرقة الفريسيين هي التي تدير السياسة بمساعدة الحكومة، بينما الصدوقيون يديرون المعبد، وكانت هذه الفرقة تعامل الشعب معاملة سيئة، ظنًّا منهم أنها المسؤولة عن المحافظة على الشريعة، وهذا يخالف الواقع.

أوجه التشابه والتخالف بين الصدوقيين والفريسيين

من أوجه الشبه بينهما ما يلي:

١ ــ تعمل فرقتا الصدوقيين والفريسيين على ابتزاز أموال الشعب، وإن كان لكل فرقة طريقتها الخاصة في جمع هذا المال.

٢ ـ اتفقت كلتاهما على كره المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، لموقفه من عظة الشعب بالدين الصحيح.

٣ ـ يرجع تاريخ نشأتهما إلى عهد الكهنة العظام، ولكنهما اختلفتا في تحقيق منهجيهما.

أوجه الاختلاف:

١ ـ كانت العضوية في طائفة الصدوقيين مقصورة على رؤساء الكهنة وعائلاتهم، وكانوا يشكلون الطبقة الارستقراطية، بينما يقبل الفريسيُّون أي عضو يسير على منهجهم.

٢ ـ كان الصدوقيُّون يعملون بالناموس (الشريعة) فقط، أما التقاليد والعادات فلا يتمسكون بها لأنها من صنع البشر، بخلاف الفريسيين فإنهم يتمسكون بالتقاليد.

٣ ـ الصدوقيُّون لا يؤمنون بالبعث في اليوم الآخر ولا بالملائكة. أما الفريسيين فيعتقدون بالملائكة والبعث واليوم الآخر.

٤ ـ الصدوقيُّون يقرون العقاب: العين بالعين، والسن بالسن، بخلاف الفريسيين الذين يقبلون الدية والمسامحة على القصاص[١].

٥ ـ كان الصدوقيُّون يسكنون القدس، أما الفريسيُّون فكانوا منتشرين في كل جهات فلسطين.

٦ ـ كان الصدوقيُّون يميلون إلى مذهب حاشية (الأبيقوريين)، بينما كان الفريسيون يميلون إلى مذهب حاشية (الرواقيين) ويمثلون الحكمة وعدم تشبههم بالأجانب[٢].

---

(١) انظر: كتاب (الدية)، للدكتور علي عبد الواحد وافي.

(٢) انظر: بحث (المذاهب الفلسفية في فلسطين قبل المسيح من هذا الكتاب).

٧ ـ لم يشارك الصدوقيون الفريسيين حماسهم بالنسبة لفكرة المَسْيا، ولكن لم ينكروها.

٨ ـ كان الفريسيُّون بطبيعتهم أكثر ليناً في كل ما يتعلق بالعقاب، بينما كان الصدوقيُّون أكثر تشدداً في أحكامهم.

٩ ـ لم يكن الصدوقيُّون معارضين للاحتلال الروماني بخلاف باقي الشعب، ولذا جنى الصدوقيُّون مبالغ كبرى من عدم معارضة الاحتلال.

[٦]
الأسينيُّون

الأسينيُّون فرقة يهودية لم يعرفها المؤرخون حتى القرن الحالي (العشرين الميلادي) وبالتحديد سنة ١٩٤٧، أي بعد المسيح بما يقرب من ألفي عام، ذلك أن بعض الحفريات في منطقة قُمران بالقرب من البحر الميت أظهرت عن وجود جماعة سكنت في بيوت أشبه بالأدْيرة، وقبرت موتاها في مقبرة عامة بالقرب من البيوت.

كان اسمها الأسينيين، والراجح أن هذا الاسم مأخوذ من كلمة آسي بمعنى الطبيب أو النطّاسي من اللغة الآرامية، وهي تفيد هذا المعنى في العربية التي تعد الآرامية أقرب اللغات السامية إليها.

ومن المعقول «أن يتسمَّى أصحاب هذا المذهب بالآسيين لأنهم كانوا يتعاطَوْن طب الأرواح وإبراء المرضى بالصلوات، كما يدَّعون العلم بخصائص العقاقير.

وقد استقلت هذه الطائفة بشعائرها وعبادتها وآرائها، وأوشكت أن

تستقل عن الهيكل لولا القرابين»[1].

هذا وقد وصفهم اليونان بأنهم «ثيرابوتي»، أي أطباء على الأرجح.

هل الأسينيُّون طائفة أم فرقة؟

يقول الدكتور حسن ظاظا:

هل الأسينيُّون طائفة أم فرقة كطائفة الصدوقيين والفريسيين؟

ويجيب بقوله:

يعتبر الفريسيُّون نقابة وليست طائفة، فالطائفة تكون مجموعة منعزلة منفردة، ولكن الفريسيين كانوا منتشرين بين الشعب ولهم علاقات بالكتبة، وكذلك فرقة الصدوقيين لا تعتبر طائفة لأنها لم تنعزل عن الشعب.

أما الأسينيُّون فإنه يمكن أن يطلق عليها اسم فرقة، لأنها انعزلت عن الشعب، وكونت لنفسها مجتمعاً خاصًّا[2].

مبادىء الأسينيين:

١ ـ كانوا يُعْنون بتقديس يوم السبت، حتى لقد حرموا على أنفسهم الغائط والبول في هذا اليوم.

٢ ـ عُرفوا بالتزمت حتى إن مجرد ملامستهم لشخص يخالفهم يعدُّ نجاسة يلزمهم في هذه الحالة التطهر وتقديم القرابين.

٣ ـ كانوا يكرهون الحروب، كما كانوا ينفرون من الجنود العائدين من المعركة الذين يلمسون جثث الموتى.

---

(١) مع المسيح في الأناجيل الأربعة، الدكتور فتحي عثمان ص ٣٧.

(٢) انظر: (الفكر الديني اليهودي)، للدكتور حسن ظاظا.

٤ ــ أقاموا في أماكن بعيدة بغية العزلة، حتى إنهم سكنوا الصحراء غرب البحر الميت.

٥ ــ رفضوا الملكية الفردية لأنهم يعيشون في جماعات ومالوا إلى الاشتراك في الأموال.

٦ ــ يحمل كل واحد منهم جاروفاً وفأساً ليعمل.

٧ ــ يعملون في مواساة المرضى.

٨ ــ كانوا يقرِّبون قرابينهم من النبات، وهذا مما يضر فرقة الصدوقيين لأنهم يريدون أن تكون القرابين من اللحوم.

٩ ــ كان يطلق على هذه الطائفة فرقة الزهاد.

١٠ ــ لم يتدخلوا في إدارة المعبد كما فعل الصدوقيون.

١١ ــ كان يحرم عليهم أن يمتلك أحدهم ثوبين أو زوجين من النعال. وكذلك يمتنع عليهم الادخار[١].

١٢ ــ الرهبنة هي الأساس عندهم، لكن من يتزوج يُعفى من قيود التنسك والبتولة.

١٣ ــ الرق حرام عندهم.

١٤ ــ التجارة عمل خبيث، أما الزراعة والصناعة اليدوية فمقبولة.

ويقول الدكتور حسن ظاظا عن هذه الفرقة ما يأتي[٢]:

والحديث عنها يرجع إلى أسرة المكابين الحشمونيين، إذ يذكر

---

(١) انظر: (عبقرية المسيح)؛ لعباس محمود العقاد.

(٢) انظر: (الفكر الديني اليهودي)، للدكتور حسن ظاظا.

يوسيفوس. في «تاريخ اليهود» أنهم كانوا موجودين على عهد الأمير الحشموني يوناتان (١٦١ ــ ١٤٨ق.م)، ولكن يبدو من مسلكهم نفسه أنهم ما كانوا يتيحون للعالم الخارجي أن يعرف عنهم الكثير. والظاهر أنه كانت لهم فلسفة دينية وأخلاقية عملت فيها تيارات أجنبية غير يهودية، منها الفلسفة الفيثاغورية اليونانية، ومنها التنظيم الديني المجوسي الفارسي القائم على أسس النور وربطه بالخير، ومنها رواسب وبقايا من العقائد المصرية الفرعونية لا سيما ما يتصل منها بتقديس الشمس، إلى جانب المعتقدات النابعة من كتب اليهود المقدسة بطبيعة الحال، ويمكن تلخيص معتقدهم ومظهرهم العام على النحو التالي:

١ ــ الاعتزال عن الناس، والارتباط القائم بين أعضاء الفرقة بعهد مقدَّس، ويمين يحلفونه عند الدخول في الفرقة، ثم لا يحلفون بعده يميناً أبداً. وقد لاحظ الباحثون التشابه القائم من هذه الناحية بينهم وبين المسيح والحواريين الذي كانوا مرتبطين في هيئة جماعة تعتزل الناس، وكذلك في النهي عن التأكيد باليمين اكتفاء عند الإجابة بلفظتي: نعم، أو لا.

٢ ــ كانوا يلبسون الثياب البيضاء، ويحرصون على نظافتها ونظافة أجسامهم والظهور بمظهر طيب وقور. وهم في ذلك يشبهون المسيح والحواريين أيضاً، فنحن نعلم أن كلمة حواري معناها لابس الثياب البيضاء.

٣ ــ المعيشة الجماعية في دار عامة للطائفة بعيدة عن الناس، يتولى كل واحد منهم فيها مهمة من مهام الحياة اليومية من زراعة أو صناعة، أو طبخ، أو تنظيف، أو تعليم، أو تأليف. وكانوا في هذه الدار يعيشون حياة شبيهة بحياة الأديرة المسيحية.

٤ ـ الاهتمام بتهذيب شعر الرأس واللحية والتطهُّر بالاغتسال والغطاس في الماء.

٥ ـ الاهتمام بشروق الشمس. فقد كانوا يقومون من نومهم قبل الفجر، فيقفون جماعة في انتظار لحظة الشروق، حيث يؤدون صلاة معينة يسمونها «صلاة الأسلاف»، وقد لمس الباحثون في هذه النقطة اقتراباً من الشرائع القديمة المصرية والمجوسية.

٦ ـ كانوا يحرمون في عبادتهم الذبيحة، ويرون فيها لوناً قاسياً من سفك الدماء، مخالفين في ذلك أكثر فرق اليهود، ومقتربين من المجوسية من ناحية والمسيحية من ناحية أخرى. بل لقد رأى العلماء أنهم لا بدَّ أن يكونوا قد تأثروا في ذلك بشيء من الفلسفات الدينية الهندية.

٧ ـ كان لهم تنظيم داخلي دقيق في فرقتهم، ففي كل دار من دورهم التي يعيشون فيها هذه الحياة الجماعية رئيس لهم يعظمونه ويطيعونه، ومن تحته كان كل فرد من أفراد الطائفة له مكان في النظام الهرمي لمجتمعهم، لا يجوز له أن يتعداه، وحتى بالكلام، فعند المحادثات والمناقشات تُعطى الأولوية لكل فرد منهم بحسب منزلته في هذا الترتيب.

٨ ـ كانوا يأخذون بالتقشف والقناعة، فلا يقبلون هدية أو زكاة أو راتباً من أحد. وكان على كل منهم أن يعيش من عمل يديه، وربما كان علماؤهم يحترفون الطب حتى تجتمع لهم فضيلة علاج الأجسام والأرواح.

٩ ـ يذكر عنهم كذلك حسب رواية (فيلون) أنهم كانوا يحرمون على أنفسهم الزواج، وقد حار الباحثون إزاء هذا التأكيد الذي يسجله بلينوس وفيلون وأرجعوه إلى تأثير الفلسفة الفيثاغورية. ولكن شارل

جنيير يقول: إن هذه الفيثاغورية التي تمثل تناقضاً صارخاً مع ما جرى عليه العرف الديني اليهودي من ضرورة الزواج؛ ربما أتت إلى الأسينيين من ارتباطها بفكرة أخرى خاصة بالطهارة، فالشريعة اليهودية ترى في الاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة عملاً يدنِّس جسميهما ويبعدهما عن هذه الطهارة، ويبدو ذلك واضحاً في توصية موسى لقومه في التوراة (خروج ١٩/١٥) بأن يكونوا مستعدين في ظرف ثلاثة أيام فيقول لهم: لا تقتربوا من أية امرأة. وفي سفر صمويل الأول (٢١/٤ ــ ٥) نجد داود وهو يتساءل عن إمكان أكله من الخبز المقدس يقول: ألم نتجنب النساء منذ ثلاثة أيام، فكل رجالي طاهرون.

١٠ ــ كانوا يحرِّمون الاستعباد والرق ويقولون بالحرية للناس جميعاً.

١١ ــ ذهب جنيير إلى أن الأسينيين لم يكونوا يحرمون ذبيحة القربان فقط، بل كانوا يمتنعون بتاتاً عن أكل اللحم وعن إسالة الدماء، وكانوا نباتيين ملتزمين بذلك في حياتهم اليومية.

١٢ ــ كانوا يؤمنون بضرورة التمسك بالتوراة وأحكامها ولو جرَّ ذلك عليهم القتل.

١٣ ــ يبدو من خلال ما نقل عنهم أنهم يؤمنون بمجيء المسيح، لكن ذلك يلفُّه غموض كبير إلَّا في كتابات البحر الميت. وأوضح من ذلك إيمانهم باليوم الآخر، وقد رأينا أن اليوم الآخر والمسيحانية ركنان من الاعتقاد اليهودي لا يكاد أحدهما ينفصل عن الآخر(١).

---

(١) هذا الكلام، موجود في كتاب (الفكر الديني اليهودي) الذي ينقل عنه المؤلف، وليس في هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء (الناشر).

١٤ ــ كانت هذه الفرقة هي أكثر الفرق إيماناً بالقضاء والقدر.

١٥ ــ نظراً لانتشار تعاطي الطب بينهم فقد قوي فيهم الإيمان بالأعمال السحرية، وتأثير البروج والأفلاك على صحة الإنسان، ثم على قدراته.

١٦ ــ انطلاقاً من النقطة السابقة كانوا يؤمنون بالأرواح والملائكة ويعطونها أسماء، ويحاولون بطقوس معينة أن يوجهوها إلى تحقيق ما يريدون.

١٧ ــ كانوا يؤمنون تبعاً لإيمانهم بالقضاء والقدر بأن الله هو المتصرف في كل شيء، وليس من الضروري أن تتفق تصرفاته مع اجتهادات عقولنا.

١٨ ــ كانوا يلتزمون الفضيلة، ويبتعدون عن الشر، ولا يلجأون إلى العنف أبداً، ولعل ذلك هو السبب في نظرة الاحترام التي كانوا يتمتعون بها بين الناس البسطاء وبين المخالفين لهم من أتباع الفرق الأخرى، كما كان ذلك بلا شك من عوامل فنائهم واندثارهم.

كان هؤلاء الأسينيُّون من الفرق التي اصطبغت بالتصوف، وكادت تبتعد بموقفها السلبي عن السياسة وعن اليهودية.

[٧]
القنَّاؤون (الغَيورون)

قامت هذه الفرقة في عصر المسيح عليه السلام واتخذت العنف منهجاً لها.

كان القنَّاؤون يقومون بقتل من يسرق أدوات المعبد.

وكان القناؤون من فرقة الفريسيين، لكنهم انشقوا عليها لأنهم أشبه

بالإرهابيين والسفاحين وقطّاع الطرق، وهذا كله لا يقبله الفريسيُّون.

كانت هذه الجماعة تتمسك بفكرة الوطن اليهودي الحر المستقل، وكانوا لا يعترفون برئيس أو سيد إلاَّ الله، وكانوا يفضلون الخروج على القانون، بل يفضلون الموت لهم ولذويهم على أن يبايعوا حاكماً أجنبياً.

جاء في كتاب الفكر الديني اليهودي عن هذه الطائفة: ليست هذه الطائفة مثل طائفة الصدوقيين، إنما شبيهة بطائفة الفريسيين، ويمتازون بالتطرف الشديد والعنف، بحيث يمكن وصفهم بأنهم سياسياً ودينياً غلاة اليهود.

أما قنَّاء باللغة العبرية فتعني الغيور أو صاحب الحميَّة، وهي كلمة وصف بها الله نفسه في الوصايا العشر عند النهي عن اتخاذ آلهة أخرى. وكان لهذه الكلمة في الزمن القديم معنى الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوة وجرأة.

عاثت هذه الفرقة فساداً في الدولة، مما جعل الرومان يتدخلون لقمع هذه الفرقة وإبادتها، وقد انتهى أمرها سنة ٧٠م على يد الإمبراطور تيتوس بن فسبازيان.

وخلاصة القول: إن هذه الجماعة كانت تنظيماً يهوديّاً عسكرياً سياسياً، يرى في استعمال القوة والالتجاء إلى الإرهاب والقتل والاغتيال الوسائل التي تؤدي إلى انتزاع فلسطين من أيدي الرومان.

● ● ●

المذاهب الفلسفية في فلسطين قبل المسيح

لا شك أن الشعب الفلسطيني تعرَّض لتعاليم الديانة الوثنية، كما تعرَّض أيضاً للفلسفات اليونانية والفارسية وغيرها، وكان لهذه الفلسفات المتعددة أثرها البالغ على الشعب والديانة اليهودية، وقبل حديثنا عن أثر هذه الفلسفات سنتكلم عن بعض هذه المذاهب.

مذهب فيثاغورس:

أقرب المذاهب الفلسفية إلى الديانات الشرقية والفارسية والمصرية.

كان من مبادىء فلسفة فيثاغورس:

١ ـ التناسخ الذي كان منتشراً في الهند.

٢ ـ كانوا يحرمون أكل اللحم، وكذلك تحريم أكل الفول.

الرواقيون:

كان منهجهم عدم التعصب، ولا حاجة لهيكل، ويعتقدون بالتناسخ والدوران والتكوين، فالله خلق الهواء، ثم الماء، ثم العالم.

كما اعتقدوا في تعدُّد الآلهة، وأن الروح لا تفنَى بفناء الجسد، وأنها ترقَى صُعُداً إلى السماء.

الأبيقوريون:

ترجع هذه التسمية إلى مؤسسها أبيقور، وقد كان ناسكاً افتتح مدرسة في إحدى الحدائق سنة ٣١١ق.م، وكان مذهبه اللذة والشهوة، وكان

السرور الحقيقي هو ألا يعقب الشهوة ألم أو ندم، فإذا تمكنت من أن تصبح مسروراً بغير الندم أو الألم فأنت مسرور حقاً.

كان أبيقور يُعْفي أصحابه من التكاليف المفروضة بخلاف الرواقيين.

ويميل الأبيقوريون إلى الأخذ بأسباب الحياة والتمتع بمناهجها، بشرط ألا ينجم عن ذلك مضرة للجسد أو خطر على الحياة نفسها.

أثر المذاهب الفلسفية في الديانة اليهودية

كان لهذه المذاهب آثار في الديانة اليهودية ومظاهر ذلك هي:

١ ـ تأثُّرُ سفر الجامعة وسفر الحكمة وسفر الأمثال بمذهب أبيقور في موضوع اللذة والشهوة والإحساس بالندم والألم، فنحن نقرأ في هذه الأسفار بعض آثار هذا المذهب.

٢ ـ تأثر الصدوقيين بمذهب فيثاغورس في مسألة البعث واليوم الآخر.

٣ ـ تأثر الأسينيين بمذهب فيثاغورس بتحريم ذبح الحيوان، كما يدعون إلى التقشف والقناعة بالقليل وهي مبادىء الأسينيين[1].

٤ ـ وتَأَثرَ اليهود والمسيحيون بمذهب الرواقيين في مسألة صعود الروح إلى السماء، فالرواقيون يقولون بصعود الروح إلى السماء، وهذه المشكلة ما زالت تبحث لدى الديانة اليهودية والديانة المسيحية عند البحث في مشكلة صلب المسيح عليه السلام.

• • •

---

(١) انظر: (عبقرية المسيح)، للعقاد، ص ١٩.

الفصل الثالث

الأحوال الاقتصادية في عصر المسيح عليه السلام

الضـرائـب

كان على اليهودي أن يدفع نوعين من الضرائب:

١ ـ ضرائب للسلطة الرومانية.

٢ ـ ضرائب تفرضها عليه الشريعة اليهودية.

أنواع الضرائب التي كان الشعب يقدمها للرومان:

١ ـ ضريبة الرأس.

٢ ـ ضريبة على النقل.

٣ ـ ضريبة على الصادرات والواردات.

٤ ـ ضريبة على الماء وعلى الطرق والمنازل.

٥ ـ ضريبة على الأسواق.

ضريبـة الـرأس

أساس هذه الضريبة:

كانت الحكومة البطلمية قد فرضت ضريبة على كل شخص، وهذه الضريبة ليست لها علاقة بالضرائب الأخرى، وسمِّيت في عهد البطالسة باسم ضريبة الإحصاء.

قام بطليموس الرابع «فيلوباتر» بعمل إحصاء في مصر لوضع ضريبة

سميت ضريبة الرأس، وقد شمل هذا الإحصاء كل سكان مصر على اختلاف جنسياتهم وأديانهم، وطبقت أيضاً هذه الضريبة على اليهود، وكان هذا الإحصاء يُعمل كل أربع عشرة سنة، واستمر بعض الوقت إلى أن استولى الرومان على مصر وفلسطين، ففرضت هذه الضريبة على أهل كلٍّ من مصر وفلسطين.

ويرى بعض المؤرخين أن سبب فرض هذه الضريبة هو أن بطليموس الرابع أراد أن يدخل الهيكل فغضب اليهود، وكان بطليموس في هذا الوقت في أورشليم، فأراد أن يعاقبهم، ففرض عليهم تقديم القرابين للإلٰه جوبيتر إله اليونان بدلاً من تقديمها إلى هيكل اليهود، وقضى أيضاً أن يدفع كل يهودي ضريبة خاصة سميت ضريبة الرأس أسوة بالمصريين، وأن يوشم بورق اللبان رمز هذا الإلٰه(١).

نظام الإحصاء لمعرفة نظم دفع ضريبة الرأس

كان نظام الإحصاء كل أربع عشر سنة، ويقوم المختصون بعمل ما يأتي:

١ ــ عدد المنازل وصاحب المنزل.

٢ ــ يقوم صاحب المنزل بتقديم تقرير إلى الجهة المختصة يحتوي على:

(أ) وصف المنزل.

(ب) ممتلكات صاحب المنزل.

(ج) سكان كل مَنْ بالمنزل.

(د) عمر كل واحد.

---

(١) اليهود في مصر في عصري البطالسة والرومان، تأليف مصطفى عبد العليم، ص ٣٩.

(هـ) المواليد والوفيات.

(و) العبيد.

(ز) أن يقدم صاحب المنزل نسختين من التقرير.

كيفية دفع ضريبة الرأس

١ ــ يقدِّمها اليهودي من سن الثالثة إلى سن الستين.

٢ ــ تقدمها النساء كذلك.

٣ ــ ويدفعها العبيد أيضاً التابعون للعائلة. ومعنى ذلك أن جميع العائلة وتابعيهم يدفعون هذه الضريبة.

٤ ــ يُعفى من دفعها من كان عمره أقل من ثلاث سنوات، ومن كان عمره أكثر من ستين عاماً.

ويرى بعض المؤرخين أن بعض الأباطرة فرض على كل يهودي بلغ عمره سنة واحدة أن يدفع الضريبة، وأن من بلغ عمره ٦٢ (اثنان وستون) يدفعها أيضاً.

عقاب من لم يدفعها

كان القانون يقضي بأن يدفع كل من طُبِّق عليه نظام ضريبة الرأس هذه الضريبة، ولكن ماذا لو أن أحداً لم يقم بدفعها؟ ماذا تكون النتيجة؟:

١ ــ يُغرّم بربع ما يمتلكه إذا اكتشف أن الفرد قد تهرَّب من دفعها.

٢ ــ الغش في التقرير. فمثلاً: مَنْ لم يبين عدد العبيد الذين عنده، يعاقب بأخذ العبيد منه.

٣ ــ أما رجال الجيش الذين لا يقدمون تقريراً فتؤخذ زوجاتهم ولا يغرَّمون عقاباً لهم.

الآثار المختلفة لضريبة الرأس

١ ــ أصبح كثير من اليهود لا يستخدمون العبيد حتى لا يدفعون ضرائب عنهم، وبذلك قلَّ عدد العبيد.

٢ ــ قلَّ الإنجاب لأن كثرة الإنجاب تعني زيادة الضرائب المفروضة.

٣ ــ فرض ضريبة على النساء لا يعتبر تعدياً على الشريعة اليهودية، لأن نساء يهود جزيرة «الفنتين» التابعة لأسوان بمصر كانت تدفع ضرائب للهيكل في القدس في فلسطين، مع أن الشريعة لم تأمرهنَّ بذلك، وليس لليهود أن يحتجوا على الرومان بذلك.

الانتقادات الموجهة إلى ضريبة الرأس

وُجِّهت بعض الانتقادات إلى هذه الضريبة، ويمكن تلخيصها بما يأتي:

١ ــ لم تكن هذه الضريبة بالمعنى الاقتصادي، لأنها لم تفرض على كل الساكنين، إذ أعفي منها بعض الفئات.

٢ ــ سميت هذه الضريبة بأسماء متعددة، فأطلق عليها اسم Census أي ضريبة الإحصاء وذلك أيام البطالسة. ثم سميت ضريبة الرأس، ومع اختلاف الأسماء إلَّا أن الأساس واحد والهدف واحد.

٣ ــ إن هذه الضريبة كانت تهدف إلى إذلال اليهود بسبب أنهم أغضبوا بطليموس الرابع بعد عودته من أورشليم.

٤ ــ لم تُراعَ فيها قواعد الضريبة، وذلك لأنها فرضت على الشعب بنسب مختلفة، ويتحملها الفقير بنسبة أكبر مما يتحملها الغنى.

٥ ــ فرضت على النساء والعبيد.

ضريبة الجمارك

كانت القوافل التي تأتي من الجزيرة العربية أو من الهند عن طريق العراق يمرّ بعضها بمدن فلسطين مثل مدينة غزة، وكانت هذه القوافل تتجه جنوباً نحو مصر، وبعضها شمالاً نحو سوريا، وفي مرورها هذا كانت تدفع ضرائب جمركية، فيزداد دخل الدولة، وكان المستفيد أولاً هو السلطة الرومانية والحكام.

على أن هذا الدخل كثيراً ما كان يضعف بسبب اضطراب الأحوال السياسية والاستغلال، وبسبب حروب الرومان المدمرة، وكانت القوافل تسلك طرقاً أخرى تبعدها عن سيطرة الرومانيين[١].

● ● ●

---

(١) انظر كتاب: التجارة عند العرب، للمؤلف.

الضرائب الدينية

كان على الشعب اليهودي أن يقوم بدفع أنواع كثيرة من الضرائب الدينية مثل:

١ ـ ضريبة نصف الشاقل لمن بلغ سن العشرين.

٢ ـ العشر من المحصولات نباتية كانت أو حيوانية، وكذلك منتجات الحدائق. وكان من قبيل التهكم. يقول بعض المنتقدين لرجال الدين: حتى النعناع فرضوا عليه ضريبة.

وهناك ضرائب أخرى مثل:

١ ـ الكفّارات المختلفة.

٢ ـ الصدقات والقرابين.

٣ ـ ما يقدمه الحاج عند زيارة الهيكل أيام الحج.

٤ ـ ضريبة للذكر عند ولادته، وهي ضريبة الولد البكر.

ضريبة نصف الشاقل:

فرضت الشريعة اليهودية نصف شاقل على من بلغ سن العشرين، وقررت دفعها للهيكل في فلسطين، لكن يهود جزيرة «الفنتين» في مصر كانوا يدفعون شاقلين عن كل شخص. كما أن النساء كُنَّ يدفعن أيضاً هذه الضريبة، ولو أن الشريعة لم تأمرهنَّ بذلك، واستمر الحال على هذا النحو إلى أن استولى الرومان على فلسطين، فحوَّلوا دفع هذه الضريبة إلى معبد جوبيتر الممثل لإله الرومان.

وهذه الضريبة فرضتها التوراة وبيَّنت أحكامها. وتقول التوراة: «وكلم الرب موسى قائلاً: . . . إذا أخذت كمية من بني إسرائيل بحسب المعدودين منهم، يعطون كل فدية نفسه للرب عندما تعدُّهم، لئلا يصير فيهم وباء عندما تعدُّهم، هذا ما يعطيه كل من اجتاز إلى المعدودين نصف شاقل بشاقل القدس، والشاقل هو عشرون جيرة. نصف الشاقل تقدمه للرب كل من اجتاز إلى المعدودين من ابن عشرين سنة فصاعداً يعطي تقدمة للرب، الغني لا يكبر والعسر لا يقلل من نصف الشاقل حين يعطون تقدمة للرب للتكفير عن نفوسكم، وخُذْ فضَّة الكفارة من بني إسرائيل وتجعلها لخدمة خيمة الاجتماع، فتكون تذكاراً لبني إسرائيل.

وهذه الضريبة مخصصة كما جاء في التوراة لخدمة الهيكل القائم في فلسطين، ويكون كل يهودي مقيم في أي بلد غير فلسطين أن يدفعها ويرسلها إلى فلسطين. فاليهودي المصري عليه دفع هذه الضريبة وإرسالها من مصر إلى فلسطين، لتكون في صندوق الهيكل يتصرف فيها القائمون على إدارة الهيكل.

لمن تدفع هذه الضريبة الدينية؟

١ ـ فرضت الشريعة أن يدفع اليهودي الضريبة إلى المعبد في أورشليم، أي تدفع للهيكل القائم في القدس.

٢ ـ هي ضريبة محددة.

٣ ـ ليس لحكومة ما أن تحولها من المعبد إلى خزائنها.

٤ ـ اليهودي القائم في فلسطين يدفع الضريبة للهيكل كل سنة. أما اليهودي خارج فلسطين (يهودي الشتات) فكان يرسلها بطرق مختلفة أثناء الحج والزيارة.

الشيقـل (الشيكـل)

الشيقل وحدة النقود في إسرائيل.

تاريـخ الشيقـل:

كان الشيقل في الـزمن القديم يعني وحـدة الوزن، فكـان يستعمل في قيمة وزن الأشياء، كما نحن نستعمل الأوقيـة والرطل والكيلوجرام في هـذه الأيام.

وقـد أخذ اليهـود عن البـابليين استعمـال الشيقـل، إذ كـان البـابليـون يستعملون الشيقل قبل إسرائيل بـزمن طويـل، ونقل اليهـود عنهم هذا النـوع من الموازين.

ثم أخذ اليهود يستعملون الشيقـل كوحـدة نقود بعـد أن نُفُوا إلى بـابل وتعلمـوا منهم، وزاد استعمالهم لـه بعد أن ظهـرت دولة ليبيـريـا واشتهـرت بضـرب النقود، واستمـر استعمال اليهـود للشيكـل كـوحـدة نقـود حتى جـاء المكـابييون فـأدخلوا بعض التعديـلات على نقشـه وخـاصـة في عهـد حكم شمعون المكابـي.

إلّا أن قـوة الشيقـل أخـذت تضعف بسبب خضـوع اليهـود لليـونـان والـرومان والمسلمين، إلّا أن الصهيـونية الحـديثة حـاولت إحياء استعمـاله، ففرضت على كل عضو في الصهيونية دفع مبلغ بالشيكل.

أنـواع الشيـقل:

١ ــ اتبع اليهود طريقة غريبة تخالف المبادىء الاقتصـادية، ذلـك أن وحدة النقود لا تتغير في أسسهـا من ناحيـة قيمتها، ذلـك أنها جعلت وحـدة النقود على أوزان مختلفة لغرض احتكاري، فجعلت مـا أسمته شيقـل القـدس وله وزن وقيمـة خاصـة، ويستعمل في دفـع الصدقـات وثمن القرابين المفروضة للمعبد.

٢ ــ شيقل عادي يُتداول بين المتعاملين.

٣ ــ شيقل مختلط. وعندي أن هـذا التنوع في وحـدة النقود هـو ابتزاز من رجال الدين للشعب، حيث يبحثون عن شيقل القدس فلا يجدونه إلاَّ عنـد رجال المعبـد، وهذا ممـا يجعل الشيقـل عملة صعبة، ويضـطر الشعب إلى دفـع سعـر أعلى للحصـول عليـه حتى يتمكن من تقـديم ما تفرضه الشريعة اليهودية عليه.

علاقة الشيقل اليهودي بالمثقال العربـي أو الإسلامي

المـثـقـال:

وحـدة وزن عند العـرب والمسلمين. فهل هنـاك عـلاقـة بين الشيقـل والمثقال؟ يرى أستاذنا الجليل الدكتور رمضان عبد التواب أن حـرف ش في العبرية والآرامية تقابل في الغالب الثاء في العربيـة، ثقل ومثقـال تقترب من شيقـل وسيقـل. وهـذه اللغـات الثـلاثـة هي من أصـل واحـد وهي اللغـة السامية[1].

فـإذاً هناك عـلاقة أصليـة بين هذه الكلمـات وخاصـة أن لفظ الشيقـل واستعماله ثُقلاً من البابليين وهم شعب سامي.

والحقيقة اللغويـة في اللغات السـامية هي التقـارب بينها وبين بعضهـا البعض، فـالشين والسين والثاء والتـاء يمكن أن تتبادل مـع بعضهـا البعض، كما في اللغة الآرامية والعبرية والعربية وبعض اللغات السامية الأخرى.

● ● ●

(١) هـذا رأي الأستـاذ د. رمضـان عبـد التـواب ــ عميـد كليـة الآداب ــ عين شمس سابقاً.

ساءت أحوال الشعب اليهودي قبل عصر المسيح، وساءت كذلك في عصره. وكانت الحالة الاقتصادية متدهورة، وحدث هذا التدهور نتيجة أسباب كثيرة سنفصلها فيما يأتي:

١ ـ فداحة الضرائب سواء الرومانية أو الدينية. أما زيادة الضرائب الرومانية فكانت بسبب إسراف الحكام في المباني والتشييد لتثبيت مركزهم وغير ذلك. أما الضرائب الدينية فكانت في كثير من الأحيان غير شرعية، بسبب جشع رجال الدين والمنازعات بين الطوائف الدينية، فالكل يريد أن يحصل على أكبر مبلغ من الدخل. ومما زاد الطين بلَّة نظام جباية الضريبة، إذ كان نظام الالتزام هو السائد والمعروف، وكان أن هذا النظام من أشد النظم قسوة على دافعي الضرائب. لقد أدَّى ارتفاع الضرائب إلى زيادة سوء أحوال الشعب، إذ أدَّى ذلك إلى ارتفاع أسعار الحاجيات الضرورية للشعب، كما قللت من أرباح التجار فأدَّى ذلك إلى إفلاس بعضهم.

٢ ـ تقلقل أحوال الأسواق.

٣ ـ زيادة البطالة.

٤ ـ لم يكن الفرد ليطمئن لغده حتى إن الحواري (متّى) يقول في إنجيله: «إن هذا النظام كان فيه شيء من الخيانة».

الإسراف في الإنفاق

١ ـ دَرَجَ الحكام في فلسطين ـ وهم النواب عن السلطة الرومانية ـ على أن يبذلوا جهدهم في تثبيت مركزهم من ناحية، وإرضاء السلطة الرومانية من ناحية أخرى، دون النظر إلى ما يكون صالحاً للشعب أو منفعته.

كان هيرودز الكبير، ثم مِنْ بعده هيرودز أنتياس يسرفان في الإنفاق على المباني والمؤسسات التي تهمهما وتهم السلطة الرومانية، ولم يكن للشعب أية فائدة في هذه المؤسسات، وفي الوقت نفسه كان الشعب هو الذي يدفع نفقات هذه المباني. وقد وضَّحنا ذلك عند الكلام على هيرودز الكبير وابنه أنتياس، وقد رأينا أن هيرودز أسرف في مشاريع كبيرة باهظة التكاليف مثل مدينة قيصرية، كما أقام القلاع والمسارح والحمامات التي بنيت على الطراز اليوناني، وهذه كلها لم يكن للشعب فيها مصلحة، وإنما أقيمت إرضاءً للسلطة الرومانية وليثبت مركز هيرودز أمام الرومان.

٢ ـ كان كل من هيرودز الكبير ومن جاء بعده، مثل هيرودز أنتياس، ينفق على الحاشية وملذاته، ويدفع الرشاوَى ليستجدي بها أصحاب الشأن في روما، وإنه وإن كان هيرودز يقف بخشوع أَمَام المعبد (الهيكل الثاني) إلَّا أنه دنَّسه بوضع النسر اليوناني والصور الوثنية على جدرانه مما أغضب اليهود.

أسباب أخرى أدَّت إلى زيادة سوء الأحوال الاقتصادية

١ ـ التحكم في النظام النقدي حيث إن العمل بشاقل القدس ـ وهو نوع من الاحتكار ـ يضر بالحاج الفقير.

كما أن الفدية والقربان تكونان في مدينة القدس وهو عبء ثقيل على من يقدِّم الفدية.

٢ ـ كانت القوافل التجارية معرضة للإغارة والنهب والسلب بسبب سوء الأحوال والبطالة في جنوب فلسطين، مما قلَّل من مجيء القوافل عبر هذه المنطقة وقلة الدخل.

٣ ـ لم تكن هناك عدالة في الدخول، إذ التمركز كله في القدس، فالأغنياء والأثرياء يسكنون القدس وفيها الصيارفة الذين أثْرَوا من عملهم في التجارة والربا الفاحش.

٤ ـ لم يكن هناك ارتباط بين منطقتي فلسطين، فالمنطقة الشمالية ـ وهي منطقة الجليل ـ وإن كانت أراضيها خصبة وبحيراتها جيدة، إلَّا أنها لم تكن ذات علاقة حسنة مع الجنوب. أما المنطقة الجنوبية ـ وهي ما يطلق عليها اليهودية ـ فأراضيها غير صالحة للزراعة، وكل ما فيها إنما هو المعبد وهو المصدر الوحيد للدخل المالي في هذه المنطقة.

٥ ـ كانت العلاقة بين أهالي المنطقتين سيئة، فأهل اليهودية يقولون عن أهل الجليل إنهم لا يعرفون الشريعة ولا علاقة لهم بالله!! ولو أنهما اتحدتا لكانت أحوالهما قد تحسنت اقتصادياً.

٦ ـ مما زاد الطين بلَّة وزيادة لسوء الأحوال الاقتصادية في فلسطين هو منافسة كبار الملاك لصغارهم، إذ أن كبار الملاك كانوا يستأجرون العبيد بأرخص الأسعار للقيام بالزراعة، فيتكلف الإنتاج سعراً أقل مما يكلفه المنتج الصغير، وتكون النتيجة خروج الملَّاك الصغار من السوق، وبيع أراضيهم، وتكون الأراضي محتكرة في يد كبار الملاك، وينتهي بزيادة البطالة بين الناس، ثم النهب والسرقة وغير

ذلك من الجرائم وتعطيل الحياة الاقتصادية، حتى إنه قيل: لا يأمن أحد أن يسافر من القدس إلى أريحا وحده.

٧ ــ النزاع بين الطوائف الدينية في فلسطين والسلطة الرومانية الحاكمة، وكان اليهود يقولون: «لماذا ندفع ضرائب باهظة وليس لروما جيش في فلسطين، ونحن دولة دينية لا نحتاج إلى جيش فلماذا الضرائب؟ إن هناك دولاً تابعة لروما وبها جيوش هي التي يجب أن تتحمل الضرائب. . أما نحن فتحت حماية الله».

كل هذا كان يثير الحقد بين اليهود والسلطة الرومانية، ثم قيام الثورات فيقسو الرومان على اليهود، فتزداد الحالة الاقتصادية سوءاً.

٨ ــ كانت المساحة الصاحلة للزراعة قليلة نسبياً، والإنتاج الزراعي غير كافٍ، فالأراضي في منطقة الجليل وإن كانت صالحة للزراعة إلَّا أنها كانت جيرية.

٩ ــ كان السمك من أهم المنتجات في فلسطين، وكان المستخرج من البحيرات الموجودة كثيراً، لكن الضرائب المفروضة كانت مرتفعة، فقلَّ إنتاجه وارتفعت أسعاره.

١٠ ــ كان النزاع بين الطوائف كبيراً بسبب الحصول على المال، وبخاصة ما يتعلق بالمعبد مما زاد في أحوال فلسطين سوءاً.

موقف الشعب من هذه الأحوال الاقتصادية

عانى الشعب اليهودي كثيراً مما حلَّ به من أزمات، ومن صور هذه المعاناة ما يلي:

١ ــ ازدواج الضرائب وسوء نظامها.

٢ ــ ارتفاع أسعار المواد الغذائيـة بسبب قلة منتجاتهـا، وارتفاع الضـرائب حتى إن الفـرد كـان يتمنى أن يحصـل على رزقـه اليــومي لقلة دخله ولعـدم الاطمئنان على غـده، فهو يـرضى بما يحصـل عليـه الآن من قوت يومه وكما جاء في الإنجيل: «أعطنا كفافنا اليوم».

٣ ــ كان على اليهودي أن يحضـر من جميع أنحـاء الشتات ليؤدي فـريضة الحج، وعليه أن يبتاع زوج حمام أو يمام أو عجلاً أو خروفاً من جهـة خاصة، وهذا ما كان يضره بسبب هذا الاحتكار.

٤ ــ على المرء أن يبدل عملته الذهبية إلى عملة تختص بالهيكل، فيربـح الصيارفة كثيراً من هذه العملية وتكون الخسارة على الشعب.

هل كان من الممكن تخفيض هذه الضرائب؟ الجواب: لا.

ذلـك أن الفرائض الـدينية ــ لا يمكن تقليلهـا لأن الشريعـة اليهـوديـة حـدَّدت نسبة الضـريبة الـواجب دفعها للمعبـد، وأن تخفيضهـا يعني سـرقـة مال الله.

كما أن الضرائب التي فـرضها الـرومان لا يمكن تخفيضهـا في مقابـل الحماية ومقابل الانتفـاع من المرافق المختلفـة مثل الـطرق والكباري وتـرع الري وغير ذلك، وإن عدم دفعها أو تخفيفها استهتار في حق روما.

الثورات اليهودية وأثرها في الدخل

١ ــ الثورة على أرخلاوس.

٢ ــ الثورة على الضرائب.

٣ ــ رأي بيلاطس.

قـامت عدة ثـورات يهوديـة ضد السلطة الـرومانيـة في بعض الأحيـان أوضد الحكام في أحيان أخرى، وعلى سبيل المثال:

١ ــ فإن الثورة الشعبية ضد أرخلاوس حاكم اليهودية أدت إلى قلة عبور القوافل التجارية في منطقة الجنوب، فقل دخل الجمارك فزادت البطالة، وارتفعت الأسعار، وزاد عدد قطّاع الطرق، حتى إن الشخص كان لا يقدر السفر وحده من أورشليم إلى أريحا.

٢ ــ الثورة أيام بيلاطس: أراد بيلاطس تخفيض الضرائب بسبب ثورة اليهود لكن هيرودز رفض ذلك.

وفي ذلك يقول هيرودز الحاكم إلى بلاطس: هل يمكن تخفيض الضريبة بسبب الثورات؟ إن تخفيض الضرائب يقلل الوارد إلى الخزينة في روما، ومتى وصل خبر ذلك فإنه سيغضب الامبراطور وينحو باللائمة عليك، وينسب لك سوء التصرف وعدم الحنكة السياسية.

بعض التشريعات اليهودية
في عصر المسيح

١ ــ يَحْرُم استدعاء اليهودي للتقاضي أو التحقيق معه في الفترة الممتدة بين ثلاثة أيام قبل العيد وبعده وكذلك يوم السبت.

٢ ــ لا يحل له أن يأخذ زوجة رجل آخر دون طلاقها فهذا محرم، وهذا ما جعل سيدنا يحيى يثور في وجه هيرودز أنتياس حاكم منطقة الجليل، إذ عمل على تطليق زوجة أخيه وزواجه منها.

٣ ــ يحرم العمل يوم السبت.

٤ ــ موانع عسكرية:

(أ) لا يصح الانضمام إلى الجيش إذا كان الشخص حديث عهد بالزواج.

(ب) زرع الكروم فلا يجب على الزارع أن يتركه حتى ينضج.

(ج) من لا يرغب في القتال، فلا يُكره على ذلك.

(د) يحرم على النساء أن تلبس ملابس الرجال ولذا لا تدخل النساء الجيش[1] ولا تتشبه بالرجال.

٥ ــ عام الشميطا، وهذا عيد عند اليهود يقام كل سبع سنين، فيحرم زرع أي محصول في السنة السابقة وتترك الأرض بدون زراعة[2].

٦ ــ تفرض الشريعة وكذلك التلمود عدم الإشادة بكل ما هو غير يهودي (الجوييم).

٧ ــ لا يسمح للأجنبي إقامة على الأرض، ومحرَّم على اليهودي أن يبيع شيئاً ثابتاً على الأرض، لكن يجوز البيع إذا هدم ما على الأرض.. ويقول الحاخام يهوذا: إنه يجوز البيع لغير اليهودي بشرط الهدم والإزالة، وكذلك يحرم الكلام عن جمال غير اليهودي أو غير اليهودية.

٨ ــ ماذا يحدث لو باضت الدجاجة يوم السبت؟
اختلف علماء اليهود في أكل هذه البيضة، بعضهم يحل أكلها وبعضهم يحرم.

٩ ــ كان على الإسرائيلي ألا يسير يوم السبت في رحلة ما أكثر من ألف يارده، ولكن اليهودي بخبثه تحايل على الشريعة وإليك هذا المثال:

يقوم اليهودي وينظر إلى شجرة فيصل إليها، ثم يبدأ من هذه الشجرة

---

(١) انظر: شريعة الحرب عند اليهود، تأليف د. حسن ظاظا، والسيد عاشور.

(٢) الربا عند اليهود، للمؤلف.

إلى شجرة أخرى، وفي كل مرة يقول سأبدأ رحلتي من هذه الشجرة، وبذلك يصل إلى رحلته وقد تبلغ خمسة آلاف ياردة، وهذا هو التحايل.

١٠ ــ عدم الإنارة يوم السبت، كذلك عدم تسخين الماء يوم السبت، فإذا كانت الإنارة والتسخين فليكن يوم الجمعة مساء، ويبقى النور طوال الليل وحتى مساء السبت. وإذا كان ولا بدّ من الإنارة فيستعين اليهودي بشخص غير يهودي للإنارة وتسخين المياه.

١١ ــ التحايل في التهرب من حقوق الوالدين. يقول المسيح: «إن الشريعة اليهودية تقضي بأن يقوم اليهودي بتقديم احتياج الوالدين، لكن اليهودي يمكنه التهرب من ذلك بطريق ما. يقوم الابن بتقديم ممتلكاته إلى إدارة المعبد لمدة ما شريطة أن يستردها عند طلبه مقابل جزء من المال، ويظهر حينئذٍ أن الابن فقير لا يمكنه القيام بواجبه نحو والديه.. فإذا أقام الأب دعوى أمام القاضي فإن الابن يثبت أنه قدَّم أمواله قرباناً للمعبد، فحينئذٍ تشطب القضية ويصبح الابن مرتاح الضمير أمام الشريعة، وهذا الخداع تقره شريعة اليهود.

• • •

الديانات الأخرى في فلسطين وأثـرها في الديـانة اليـهوديــة

كانت الديانة اليهودية في عهـد المسيح قـد انتشرت في جميـع أنحاء فلسطين، إلاَّ أن ديانات أخرى غير سماوية كانت بجانب الديانة اليهودية في فلسطين أيضاً، فكـانت الديـانة الـوثنية لليـونان والـرومان، وكـان اليهود في بعض الأحيان يعبدون إلهـاً واحداً، وفي بعض الأحيـان تراهم زاغـوا وعبدوا آلهة أخرى.

ولم يفكـر اليهود أن هنـاك آلهـة أخـرى بجـانب إلٰههم «يهـوا» فكـان «كيمـوش» إله المؤابيين. بينمـا كانت «عشتـروت» إلٰهة الصيـدونيين، وأمـا «ملخ» فكان إله عمون.

وكان كل واحد من هؤلاء يعتبر إلٰهاً خاصاً وحامياً لشعبه.

كان اليهود يرون أن إلٰههم «يهوا» يفوق جميع الآلهـة الأخرى، أي أن اليهـود يعتـرفـون بتعـدد الآلهـة، وهـذا مـا جـاء في سفـر الأمثـال (٨٦/٨) و(٨٩/٦): (وبين الآلهة لا يوجد مثلك).

ثم تطورت العقيدة عند اليهود، فعرفوا أنه ليس هناك إلاَّ إله واحد هـو (يهوا) كما جاء في سفر أشعيا.

«أنا الأول وأنا الآخر». ومن هنا فقد بدأ اليهـود يعترفـون بإلٰـه واحد، وأطلقوا عليه اسم «يهوا»، لكن طرأت بعض الـظروف التي أثرت في الفكـر

اليهـودي، ذلك أن أثنـاء فتـرة السبـي ونفي اليهـود إلى بـابـل، ثم استيـلاء الفـرس عليهم تأثَّـرُوا بالـديانـة الفارسيـة، إذ كان لـدى الفرس إلٰهـان هما: (آهورمان) و (أهورا مزدا). وهما إله الخير والشر، واعتقد اليهود أن مـا ينزل بالإنسان من حوادث إنما بفعل أحد الآلهة، كذلك اعتقدوا أن هناك شياطين لها أثرها في حياة الإنسان.

أمـا فكرة خلود الـروح فكـانت غـامضـة لـدى اليهـود، بينمـا عـرفت المسيحيـة البعث والخلود ويوم الـرب، وقد تـأثر الـدين اليهودي بـالمذاهب الفلسفية وقد شـرحنا ذلـك في موضعـه، كما تجـد بعض التشابـه بين فكرة أيوكاليست وهي التطلع إلى معرفة المستقبل، وما جاء في إنجيـل متّى الذي يتكلم عن ابن الإنسان، وتقسيم الناس كمـا يقسِّم الراعي غنمـه، وأن هناك أهل اليمين وأهل الشمال.

● ● ●

الفصل الرابع

الدِّيانَةُ اليَهُودِيّةُ في عَصْرِ المَسِيْحِ عليه السّلام

الشـمـاع

الشماع أساس العقيدة عند اليهودي. ويتكون الشمـاع من بعض آيات اتخذت من أسفار التوراة، ويتكوّن من أجزاء من:

١ ـ سفر التثنية: ٦/٣٧ ـ ٤١ و(١١/٣) ـ ٢١.

٢ ـ سفر العدد: (٢٥/٣٧) ـ ٤١.

نصـوص الشمـاع:

«اسمع يا إسـرائيل: الـرب إلّهنا إلـه واحد، وأحب الله إلهـك من كل قلبك».

وقـد يضاف إليـه نص من سفر الـلاويين: «وأحب جـارك كنفسـك». لكن هذا النص لم يدخل الشماع.

وهنـاك نصوص أخـرى يجب على اليهودي أن يعلمهـا لأولاده بجانب تعليمهم الشماع وهذه الوصايا هي:

يجب أن يكون بملابسك أهداب فهي تذكرك دائماً بالله.

(يردد) أو (يكرر) أو (تقيد) ثم يردد: «أنا الرب إلهـك الذي أخـرجك من أرض مصر.. أنا الرب إلهك (سفر العدد)».

وكل يهودي ذَكَـر يجب عليه أن يتلو الشمـاع مرتين يـومياً. وقـد عمد الفريسيون إلى قراءة الشماع كمجموعة علناً، وفي بعض الأحيان عنـد افتتاح الخدمة في المعبد. كانت الشـريعة تعتبـر واسطة العـلاقة بين النـاس والله،

وأن اليهودي إذا واصل عبادته لربه فإن البركة تحل عليه، وكذلك يمكنه قهر أعدائه، ويمكن أن يتبين لنا أهمية هذه العلاقة عندما تقرأ المزمور ١١٩ إذ أن كل فقراته تدل على عدالة الله، وأن الشريعة هي مفتاح السعادة وطهارة القلب ونظافة اليد.

السنهدرين

كان السنهدرين هو المحكمة العليا، فكان له حق الحكم في النواحي المدنية والجرائم وغيرها، ما عدا الجرائم الجنائية فإنها تتبع المحاكم الرومانية.

كان السنهدرين يتكون من واحد وسبعين عضواً يعينون في احتفال عام، ويجب أن يتكون من الرجال الممتازين، وكان معظم أعضائه من الصدوقيين والباقي من الفريسيين. كما كانت هناك محاكم في الأقاليم تقوم بالفصل في القضايا، إلاَّ أن السنهدرين كان هو المشرف على هذه المحاكم، وقد حوكم المسيح أمام السنهدرين.

بعض رجال التشريع اليهودي
في عصر المسيح

هلِّيل:

وُلد هلِّيل في بابل سنة ١١٠ قبل الميلاد، وتوفي سنة ١٠ ميلادية في القدس، وعاش حوالي مائة وعشرين سنة، إلاَّ أن حياته لم تعرف إلاَّ بعد أن بلغ الأربعين، إذ لم يبدأ تعليمه إلاَّ بعد هذه السن، وكان من بين العلماء المشهورين، وكانت له فتاويه في مسائل كبيرة وكان من أهمها مثلاً:

١ ـ تحديد سنة البوبيل، وكيفية دفع الديون في سنة البوبيل(١).

ومن أقواله وآرائه:

١ ـ لا تعمل شيئاً يضر بصاحبك إذا كنت لا ترضاه لنفسك.

٢ ـ كان يميل إلى السلام وعدم العنف.

٣ ـ يكره الكسل وأسبابه فمثلاً يقول: «إن كثرة اللحم تؤدي إلى كثرة الديدان، وإن كثرة الملكية تؤدي إلى التفاخر، وإن كثرة النساء تؤدي إلى الكهانة والعرافة، وإن كثرة النساء تؤدي إلى الدعارة، وكثرة الخدم للرجال تؤدي إلى كثرة اللصوصية. أما كثرة القراءة في التوراة فإنها تطيل الحياة، وكثرة الإحسان تؤدي إلى السلام».

كان يميل إلى تطبيق روح القانون في فتاويه.

يوحنا بن زكاي

كان من تلاميذ هلِّيل، وعاش في النصف الأول من القرن الأول الميلادي، ورأس السنهدرين وحصل على لقب ربان أي معلِّم، وقد يكون هو الوحيد الذي ذكر في الإنجيل من المعاصرين له.

وفي أثناء محاكمة عيسى أمام السنهدرين كان هو العضو الوحيد الذي أظهر العطف والرحمة على سيدنا عيسى، حتى إن بعض اليهود ظنوا أنه تحول إلى المسيحية، وحينئذٍ قال بعضهم إن التوارة قد انتهت.

شمَّاي

من أكبر علماء اليهود في القرن الأول الميلادي، عاصر المسيح

(١) انظر: كتاب (الربا)، للمؤلف.

وعاش حوالي ثمانين عاماً، وأسس مدرسة أو مذهباً عُرف باسمه، وكان معاصراً للعلامة هلِّيل.

كان دقيقاً في أحكامه، ومتزمّتاً غير مرن في فتاويه بخلاف العلامة هلِّيل، ولم يكن ميالاً إلى قبول المتهوِّدين الذين يريدون الدخول في الدين اليهودي، وكان يرفض الكثير من الأسئلة بخلاف العلامة هلِّيل فإنه كان يقبل الأسئلة مهما كثرت.

كان عالماً متبحراً في علوم الفقه اليهودي، إلاَّ أنه يحصل على رزقه من عمله اليدوي إذ كان يعمل نجاراً، كما كان عيسى عليه السلام يشتغل نجاراً أيضاً.

كان يقول لا تكثر من التفكير، بل أكثر من العمل.

أما موقفه من التبشير أو التهويد فكان الرفض، بخلاف العلامة هلِّيل فإنه كان متساهلاً في هذا الموضوع. وقد أخذ سيدنا عيسى برأي هلِّيل في مسألة التبشير وتشجعيه، ولقد تأثر سيدنا عيسى ببعض أقواله، وبخاصة تلك التي تتعلق بأمور الزواج والطلاق.

• • •

المسيح عيسى عليه السلام

ولد المسيح عليه السلام في بيت لحم ـ وهي بلدة قريبة من القدس على بعد ستة أميال ـ في عصر أغسطس أكتافيوس. وكان هيرودز الكبير يحاول قتل كل مولود ظناً منه أنه سيقتله أو يرث ملكه، فأوحى الله إلى السيدة مريم أن تلجأ هي وابنها ويوسف النجار إلى مصر هرباً من هيرودز الطاغية، وبعد حوالي سنتين ونصف عرفت السيدة مريم بموت هيرودز فرجعت إلى فلسطين.

كان عيسى عندما شب وترعرع يذهب إلى القدس ليحج مع أمه، وبعد ذلك يقوم بعمله الذي يتكسب منه، وظل يمارس عمله هذا حتى بلغ سن الثلاثين حيث بدأ تبليغ الرسالة التي أرسله الله بها. وفي هذه السن قابل النبي يحيى فعمَّده يحيى، واغتسل وأخذ يدعو الناس إلى عمل الخير واتباع سبيل الرشد.

على أنه مما أغضبه كثيراً قتلُ يحيى في هذا الوقت، فزاد ذلك من عبئه في حمل الرسالة، ولكنه سار في طريقه مستعيناً بربه على أداء المهمة المكلَّف بها من قبل الله سبحانه.

عاصر عيسى حاكماً ظالماً سفاحاً هو هيرودز أنتياس الذي قتل يحيى النبي، وعاصر شعباً غليظ القلب، وعاصر حياة اجتماعية متدهورة.

لكنه قابل تلك العقبات برباطة جأش، وقلب سليم، معتمداً على ربه سبحانه.

العقبات التي واجهت
سيدنا عيسى عليه السلام

أهم العقبات التي واجهت سيدنا عيسى في تبليغ رسالته هي:

١ ـ الطوائف الدينية والنزاع بين بعضها البعض.

٢ ـ موقف هذه الطوائف الدينية من الحكام.

٣ ـ موقف الطوائف الدينية من الشعب.

٤ ـ الضرائب وزيادة نسبتها.

٥ ـ العجز في المواد الغذائية وصعوبة الحصول عليها.

٦ ـ العبيد ومركزهم.

٧ ـ الفساد والزنا.

٨ ـ تدهور الحالة الاجتماعية.

بدأ عيسى الدعوة في سن الثلاثين، ويقول الحواريون:

«ولما سمع يسوع أن يوحنا (سيدنا يحيى) أسلم الروح انصرف إلى الجليل، ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرِّز (يبشِّر) ويقول: «توبوا لأنه اقترب ملكوت السماوات».

عيسى يباشر عمله

١ ـ بدأ عيسى عليه السلام يصلح ما فسد، فوقف يواجه طائفة الفرِّيسيين ويظهر عيوبهم أمام الشعب، فينتقدهم ويصفهم بالنفاق، حيث يطيلون لحاهم ويظهرون في الأسواق بأنهم أتقياء، بينما هم يفرضون الضرائب على أتفه المحاصيل الزراعية مثل الضريبة على النعناع وعلى العشب وغير ذلك. ووقف ضد الصدوقيين الذين لا همّ لهم إلاَّ احتكار المواد اللازمة للحجاج، والاشتغال بالصيرفة، وملء بطونهم

مما يدخل الهيكل، في حين أن الهيكل بيت عبادة لا سوق لبيع الخراف.

٢ ـ دعا الناس إلى عدم الكنز أو الاكتناز، وأن مال الكنز هو السوس، وأن الكنز الحقيقي هو العمل الصالح.

وكان يُفهم الناس أنَّ النذر لله وليس لطائفة خاصة تحصل عليه لمصلحتها، فيزيد هذا القول من غضب الصدوقيين عليه.

٣ ـ وكان يعلِّم الناس أن إنقاذ الروح خير من التمسك بالشريعة، وأن السبت خلق لمصلحة الشعب ولم يخلق الإنسان للسبت. ذلك أن حاجة الإنسان وتلبيتها خير من التمسك بشريعة يضعها رجال الدين لمصلحتهم، وقد ضرب لنا الأمثال لعمل الخير وإنقاذ الروح:

في يوم السبت جاع الحواريون، فأخذ عيسى بعض سنابل القمح وفركها وأكل منها هو والحواريون، وكان بهذا العمل كأنه يقول للحواريين: هل الجوع أفضل أم التمسك بشريعة لم تأتِ بها التوراة تؤدي إلى موت الإنسان جوعاً؟! إن الأديان تنادي بحفظ حياة الإنسان قبل كل شيء.

عيسى عليه السلام
يشفي المرضى يوم السبت

هل يُترك الإنسان وهو يموت من أجل التمسك بشريعة لم تأت بها التوراة؟

كان عيسى يمشي مع الخطاة والعبيد لينقذهم مما وقعوا فيه، وهذا مما أغضب رجال الدين والعظماء الذين كان من مصلحتهم ترك العبيد على

حالتهم التي هم عليها لبقائهم في خدمة أسيادهم، فهل محاولة عيسى عليه السلام في تحريرهم أفضل أم بقائهم عبيداً؟

عيسى غير متعصِّب

وقف عيسى مع امرأة سامرية، وزار بيوتاً غير بيوت اليهود. فهل في ذلك ما يعاب عليه؟ إنه ينشر المحبة بين الناس على اختلاف جنسياتهم.

عيسى عليه السلام يضع الأمور في نصابها فيقول: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله، وبذلك فوَّت على اليهود المغرضين ما كان سيلحق بعيسى من أذىً.

هل كان عيسى من فرقة الأسينيين؟

يرى بعض المؤرخين أن سيدنا عيسى كان من فرقة الأسينيين، ويستدلون على ذلك بما يأتي:

١ ــ لبسه الملابس البيضاء.

٢ ــ عدم إقدامه على الزواج.

٣ ــ الاغتسال والتطهر بالماء.

٤ ــ لم يلجأ إلى الشرِّ بل كان سبيله التمسك بالفضيلة.

٥ ــ لم يحبذ الكنز أو الادخار.

٦ ــ رَفَض الملكية الشخصية.

٧ ــ أَدَّى بعض الخدمات الاجتماعية كالطب والتداوي.

الحواريُّون

هم أخص من اتبع عيسى عليه السلام، وهم نقباؤه الاثني عشر، كما أمر الله موسى عليه السلام من قبل أن يختار اثني عشر نقيباً. وهم الذين آمنوا به في أول الأمر وناصروه وشهدوا معه بالإيمان بالله وحده. وهؤلاء الحواريين هم:

١ ــ سمعان المعروف باسم بطرس.

٢ ــ يعقوب بن زبدي.

٣ ــ فـلبـس.

٤ ــ تـومـا.

٥ ــ يعقوب بن حلفي.

٦ ــ سمعان القانوني (الغبوري).

٧ ــ أندراوس أخو سمعان.

٨ ــ يوحنا أخو يعقوب.

٩ ــ رتـولمـارس.

١٠ ــ متى العشّار.

١١ ــ تـداوس.

١٢ ــ يهوذا الأسخريوطي.

بـطـرس

هـو من أوائـل الـذين عـاصـروا السيـد المسيـح وتلقّـوا عنـه وسمعـوا نصائحه، وكان من أجلّائهم، ظلَّ مخلصاً لدينه، وظل بعد المسيـح ملازمـاً للهيكل بين الفينة والفينة، ويدعو بدعوة عيسى المسيح عليه السلام.

مـتّـى

أحد النقباء الاثني عشـر كما يـذكر المؤرخون المسيحيـون وكان جـابياً (عشّاراً) يجمع الضرائب لدولـة الرومـان، دعاه المسيـح ليكون من تـلاميذه فآمن برسالته وتبعه، وكان اليهود يكرهون العشّار وعمال الرومان.

وقد انتقد اليهود المسيح لذلك وقالوا لتـلاميذه: لمـاذا يأكـل معلمكم مع العشّارين والخـطاة؟! فلما سمـع المسيح قـال لهم: لا تحتاج الأصحـاء

إلى طبيب، بل المرضى، فاذهبوا وتعلموا ما هو «إني أريد رحمة لا ذبيحة، لأني لم آت لأدعو أبراراً، بل خطاة للتوبة»[1].

مـرقـص

من السبعين التابعين للنقباء الذي كانوا مع المسيح، وطوَّف في البلاد بعد طرد أتباع المسيح من أورشليم، وقتل سنة ٦٢م لأنه كان موحِّداً وله إنجيل باسمه. ويقول عنه الأستاذ محمد أبو زهرة أن اسمه يوحنا، ويلقب بمرقص، ولم يكن من الحواريين الاثني عشر بل من السبعين النقباء، وهو من أوائل من أجابوا الدعوة. ولمرقص علاقة وطيدة بمصر، ذلك أنه ذهب إلى شمال أفريقية، ودخل مصر في منتصف القرن الأول، وأقام بمصر وأخذ يدعو إلى المسيحية، وقد وجد في مصر أرضاً خصبة للدعوة، واستمر يدعو إلى أن قتله الوثنيون سنة ٦٢م. ويعتبر مرقص ابن أخت برنابا.

إنجيـل مرقـص

كُتب هذا الإنجيل باليونانية، ولم يخالف أحد في ذلك، ولكنه شرح فيه بعض الكلمات باللاتينية، ويؤخذ من ذلك أنه كتبه في سفره إلى روما.

بـرنـابـا

برنابا: اسم آرامي معناه ابن الوعظ[2]:

وكلمة بر: معناها ابن، ونابا بمعنى الوعظ. يعتبر برنابا من بين أهم المبشرين بالديانة المسيحية، وهو خالُ مرقص الحواري، أصله من قبيلة لاوي بن سيدنا يعقوب، وهو قبرصي الجنسية.

---

(١) الدين المقارن ـ المسيحية، تأليف أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني، ص ١٠.

(٢) جاء في أعمال الرسل: «ويوسف الذي دُعي من الرسل برنابا الذي يُترجم ابن الوعظ، وهو لاوي، قبرصي الجنسية».

اعتنق المسيحية في زمن الرسل، فترك علاقاته العالمية، وابتدأ يجاهد في نشر بشرى الخلاص في العالم، ويحث الناس على اعتناق المسيحية، ويعزِّيهم في مصائبهم، ولذلك سماه الرسل برنابا، أي ابن الوعظ بعد ما كان اسمه أولاً يوسف.

وقد شارك بولسَ في أسفاره وتنقلاته. وقد أردنا الكلام عنه مع أنه ليس من الحواريين الاثني عشر لأنه ترك إنجيلاً يخالف الأناجيل الأربعة في بعض أمور كثيرة، مما جعل المسلمين يستشهدون ببعض ما جاء به، مثل البشرى بمجيء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

وإن كان الكثير من المسيحيين يقفون موقف العداء من هذا الإنجيل، فلا يعتمدونه ولا يعملون بما جاء به، ويزعم البعض أن هذا الإنجيل ألَّفه كاتب في القرون الوسطى وانتحل اسم برنابا باطلاً[1].

يوحنا

هو ابن زبدي الصياد الذي يقال عنه أن المسيح كان يحبه ويصطفيه. وقد عاش في أورشليم، وقد عُمِّر طويلاً، وكتب إنجيلاً في آخر حياته، ويشك المؤرخون في ذلك.

ولهذا الإنجيل أهمية خاصة في دراسة المسيحية، لأنه الإنجيل الذي نصَّ صراحة على ألوهية المسيح، ويشك المؤرخون في هذا النص، إذ كانت مدرسة الإسكندرية هي التي نبتت فيها فكرة التثليث والدعوى بألوهية المسيح.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ـ تأليف نخبة من الأساتذة بإشراف دكتور بطرس عبد الملك.

ما جاء في القرآن الكريم عن الحواريين

قال الله تعالى:

﴿إذ قال الحواريّون يا عيسى بن مريم، هل يستطيع ربك أن ينزِّل علينا مائدة من السماء؟ قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ [سورة المائدة: الآية ١١٢].

وقال أيضاً:

﴿يا أيها الذين آمنوا كُونوا أنصار الله كما قال الحواريون نحن أنصار الله، فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾ [سورة الصف: الآية ١٤].

وقال سبحانه:

﴿فلما أحسّ عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله؟ قال الحواريّون: نحن أنصار الله، آمنّا بالله وأشهد بأنّا مسلمون﴾ [سورة آل عمران: الآية ٥٢].

وفي سورة المائدة، آية ١١١:

﴿وإذ أوحيت إلى الحواريّين أن آمنوا بي وبرسولي، قالوا آمنا وأشهد بأنّنا مسلمون﴾.

• • •

التبشير بالدِّين اليهودي

يـرى اليهود أن التبشيـر بالـدين اليهودي والإعـلان عنـه للدخـول فيـه أو اعتناقه أمر ترفضـه الديـانة اليهـودية، وأن هـذا الدين مقصـور على اليهود فقط، وليس لأحد من غير اليهود اعتناقه أو الدخول فيه.

هذا الاعتقاد نشأ نتيجة لما جاء في التوراة في سفر التثنية، الإصحاح ٦/٧، والإصحاح ١٤/٣١:

«لأنك شعب مقدّس للرب إلهـك، وقد اختـارك الرب لكي تكـون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض».

وقـد جاء أيضـاً في سفـر الـلاويِّين ٢٠/١: «أنـا الـرب إلهكم الـذي ميَّزكم من الشعوب».

وجاء في سفر التثنية ١/٧ ــ ٨:

«متى أتى بـك الـرب إلهـك إلى الأرض التي أنت داخـل إليـهـا لتمتلكهـا، وطرد شعـوباً كبيـرة. . . فـإنـك تحـرمهم، لا تقـطع لهم عهـداً، ولا تشفق عليهم، ولا تصاهرهم. بنتـك لا تعط لابنه وبنتـه لا تأخـذ لابنك، لأنه يُردُّ ابنك من ورائي فيعيد آلهة أخرى».

ولم يقتصـر الأمر على مـا جاء في التـوراة، بل إننـا نرى مـا جـاء في أقـوال العلامـة شمّاي، إذ أنـه كـان لا يسمـح لأحـد بـالـدخـول في الـدين اليهودي، إذ كان يرفض المتهوِّدين رفضاً تاماً. وكان من نتـائج إغـلاق الباب

في وجه من يريد الدخول في اليهودية ما يلي:

١ ـ انعزال اليهود عن الشعوب الأخرى، وعدم التزاوج معهم حتى لا يؤدي ذلك إلى الاختلاط، ثم الدخول في دينهم، وأدَّى ذلك إلى أن عاشوا في كل مدينة أو قرية يسكنونها منعزلين في مكان خاص بهم يسمّى بالجيتو، أو الحي اليهودي، كما يشاهد ذلك في مصر في حارة اليهود بالقاهرة، وكذلك في دمشق.

٢ ـ عدم الانصهار أو الاندماج، فانغلقوا على أنفسهم، على أساس أنهم شعب الله المختار دون غيرهم، واعتقدوا أن دخول الغير في دينهم يؤدي إلى عدم قدسية دينهم[١]، وكان هذا سبباً من أسباب كره اليهود للمسيح الذي قام بالتبشير.

يقول العلامة ج. هـ ولز:

«إن أنبياء بني إسرائيل ساسة وليسوا أنبياء، لأنهم لم يقوموا بواجبهم الديني ألا وهو التبشير بدين الله»[٢].

نقد فكرة «عدم التبشير عند اليهود» بشواهد من كتبهم

قلنا إن أساس فكرة عدم التبشير عند اليهود أنهم اعتبروا أنفسهم مقدَّسين، وأن الله لهم فقط وليس لغيرهم، وعليهم أن يحتفظوا بجنسهم. ولكن اعتقادهم هذا باطل وخطأ، فالله رب العالمين وليس الله رب اليهود فقط، والأدلة على ذلك هي:

---

(١) التفرقة العنصرية، للمؤلف، ص ١٠٥.

(٢) التفرقة العنصرية، للمؤلف، ص ١١٢.

الرب قريب من جميع دعاته الذين يدعونه الحق (مزمور ١٤٤/٨).

وكذلك: الرب صالح للجميع، ومراحمه على كل صنائعه.

وجاء أيضاً: إن الله أعطى الجميع نفس الدهن وهو جابل قلوبهم جميعاً. مزمور ٢٣ (١٢ ــ ٥).

وجاء في سفر أيوب: إن الله فرض للجميع القانون الذي يقضي بتعظيم الله (أيوب ٢١).

وجاء في سفر يونس:

إن الله يرعى الجميع ويرحمهم ويسامحهم، وإن رحمته تشفيهم جميعاً.

وقد أرسل الله نبيه يونس إلى بلد ترشيش وهي بلد غير يهودي، وكيف يكون اليهود شعب الله المختار:

١ ــ هل كان يونس ذاهباً إلى أهل ترشيش للزيارة أو لنشر دين الله.

٢ ــ سُمِّي النبي أرميا «نبي الأمم» كلها بلا تمييز، ولم يُسَمَّ نبي اليهود.

٣ ــ لم يكن حزقيال النبي نبياً لليهود فقط، بل لجميع الأمم المعروفة في عصره.

يقول النبي حزقيال:

«يجب على إسرائيل ألا يتفاخر لأن أباه عموري وأمه حثية». أي أن شعب إسرائيل ليس من أصل يختلف عن باقي الشعوب. ومعنى ذلك أن حزقيال وهو من أكبر أنبياء بني إسرائيل قد تهوَّد، فأمه غير يهودية، وكذلك أبوه، وقد تهوَّدا بعد أن كان أصلهما عمورياً وحثيّاً وهي ديانة تخالف الدين اليهودي».

ويقول النبي أرميا: «كان أبي آرامياً متجولاً».

النبـي عوبديا أُرسل إلى الآروميين

يقول النبـي عاموس لليهود:

ألستم لي كنبـي الكوشيين؟

معنى ذلك أنكم تشبهون أحط الأمم في نـظركم أنتم في ذلك الـوقت وهو الكوشيين!!

لقد سمحت التوراة بدخول غير اليهودي في الديانة اليهوديـة. جاء في التوراة:

«إنـه يمكن للمؤابيين والعمونيين أن يتـزوجوا من الإسـرائيليـات، وأن يصبحوا إسرائيليين في الجبل العاشر».

فهـل هذا تبشيـر أم لا؟ كذلـك سمح للمصـري أن يدخـل في الدين اليهودي بعد فترة ثلاث سنوات.

موقف سيدنا سليمان

تدَّعي التوراة أن سيدنا سليمان تزوج نساء كثيراً عربيات.. فهـل كان هـذا النبـي فيما فعـل مخالفـاً لما جـاء في التوراة، أم أن مـاجـاء فيهـا هـو تحريـف عن أصلها الصحيح؟

الأدلة من التلمود

يقول رجال التلمود: إن الله عندما خلق آدم أخذ تراباً من أربعة أركان الأرض، وكان التراب من ألوان مختلفة: أحمـر وأسود وأبيض، وذلـك ليبين أن البشر كله وحدة واحدة.

جاء في المدراش تعليقاً على ما جـاء في سفر التثنيـة: إن الله يقول:

«ولو أنني اخترت منكم رؤساء وقضاة وشيوخاً وضباطاً إلَّا أنكم جميعاً أمامي سواء». أما العلامة هلّيل وهو من أكبر علماء التلمود فكان يقبل من يريد الدخول في الدين اليهودي ويحب المتهوِّدين.

وهناك قانون يتعلق بالعدالة الاجتماعية، وهو أن المولود المتهوِّد والغريب كلهم أمام القانون سواء كما جاء في سفر الخروج ١٢/٤٩، وسفر اللاويين ٢٤/٢٢، وسفر العدد ١٥/٣٦، وهذا يدلنا على السماح بالتهويد.

وثانياً: إن اليهودي والمتهوِّد والغريب متساويان، وليس لليهودي الحق في أن يعتبر نفسه متميزاً عن غيره.

يقول المسيح عليه السلام: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» [متى إصحاح ٢٨/٣٠].

وفي إنجيل مرقص أن المسيح عليه السلام:

١ ـ كان يشفى أي شخص ولو لم يكن من اليهود، فإنجيل مرقص يقص علينا حكاية المرأة الأمية وكيف عالجها المسيح، وهذا نوع من أنواع التبشير الذي لا يرضى عنه اليهود.

وفيه أيضاً:

٢ ـ محادثة عيسى مع المرأة السامرية، وكيف طلب إليها ماء ليشرب، وهذه المحادثة يرغب عنها اليهود، ولم تعجبهم محادثة عيسى مع المرأة السامرية.

يقول بولس الرسول: إن المسيحية ليست ديناً لليهود فقط، بل هي دين عالمي.

• • •



المسيحانية تعني عند اليهود «الخلاص» أي تخليص اليهودي ممَّا ألمَّ به من مصائب وأزمات وشرور وغير ذلك.

أما منشأ هذه العقيدة عند اليهود ففيه أقوال كثيرة نبينها فيما يأتي:

١ ــ يقول بعض المؤرخين أن المسيحانية نشأت عند اليهود عندما مُني الإسرائيليون بالانكسار العسكري والهزائم المتلاحقة، والتي انتهت بالسبي الآشوري سنة ٧٢٢ق م والسبي البابلي سنة ٥٨٦ق م، ثم وصلت ذروتها سنة ٧٠ ميلادية عند خراب الهيكل الثاني على يد تيتوس القائد الروماني(١).

أي إنه كلما حلّت باليهود أزمات وقلاقل وهزائم أمام الشعوب الأخرى تطلعوا إلى من ينقذهم ويخلصهم منها.

٢ ــ إن عقيدة الخلاص كانت معروفة عند الشعوب الشرقية قبل ظهور اليهود على مسرح الحياة، ذلك أن أساس الخلاص هو أن الرجاء في الخير أصل من أصول الديانة، وأن الأمل في الصلاح مادة من مواد الحياة الإنسانية في طلب الكمال والخلاص من العيوب. وقد يشتد هذا الأمل حيث تشتد الحاجة إليه، فكان المصريون الأوائل يترقبون المخلِّص المنقذ بعد زوال الدولة القديمة.

(١) المسيح، تأليف الدكتور متى ناظم.

وكان البابليون يؤمنون بعودة «مردوخ» إلى الأرض فترة بعد فترة لقمع الفتنة وتطهير هذه الأرض من الفساد. وأما المجوس فكانوا يؤمنون بظهور رسول من آلهة النور كل ألف سنة، فهل نقل اليهود فكرة المسيحانية عن هذه العقائد القديمة.

المسيحانية والمسح بالزيت

جاءت كلمة المسيحانية من المسح بالزيت لمن يكون مخلّصاً للشعب.

كان المسح تقليداً منتشراً في بلاد الشرق القديم، وكان الناس يعتقدون في أن الزيت مقدّس، وأن للزيت قوة مقدَّسة وتكمن فيه قوة خارقة، وأن تلك القوة تنتقل إلى الشخص أو الشيء الممسوح به.

كان المسح مخصصاً في بادىء الأمر ومقصوراً على الكهنة ليكون الكاهن مقدساً، ثم انتقلت فكرة المسح للأنبياء ثم الملوك والأمراء.

المسيح عند اليهود

يرجع هذا اللقب إلى الشعائر التي درج عليها اليهود منذ أجيالهم الأولى، بل منذ عصر أبيهم يعقوب الذي سُمِّي إسرائيل، فمنذ عصره آعتبر المسح بالزيت المقدس من أعظم شعائر التقديس والتكريم للناس وللأماكن، فكل ما يمسح بهذا الزيت يصير مقدَّساً لله.

ولا يُمسح بهذا الزيت المقدَّس من الناس سوى الكهنة والملوك والأنبياء، ولذلك سُمِّي هؤلاء بالمسحاء وتعنى المختارين والمباركين من قبل الله، وقد حذَّر يهوه إله اليهود، من تقليد هذا الزيت أو مسح الأجانب الأنجاس به.

وتقول التوراة: «يكون هذا لي، وهنا مقدساً للمسحة في أجيالكم، على جسد إنسان لا يسكب، وعلى مقاديره لا تضيعوا مثله، مقدس هو ويكون مقدساً عندكم، كل من ركَّب مثله، ومن جعل على أجنبي يقطع من شعبه»(١).

لمحة تاريخية عن فكرة الخلاص

بدأت فكرة الخلاص في أول أمرها عند اليهود بأن الله سيبعث لهم بطلاً يهودياً بشرياً يتميز بصفات القدرة القتالية، التي تُمكِّن بني إسرائيل من الخروج من حالة القهر التي عاشوها بين الشعوب الأخرى، ثم تطورت هذه العقيدة إلى الخلاص بالتوبة والرجوع إلى الطريق المستقيم والعمل بأوامر الله، وكان الأنبياء ينادون بذلك.

أما في عصر التلمود فكان الخلاص لا يأتي إلَّا بمجيء ملك يهودي ترسله السماء بقدرات حربية خاصة لتقود بني إسرائيل، كما اشترط علماء التلمود، وأن هذا المخلِّص يعرف بالمسيح. ثم أصبح المسيح هو الملك الذي يأتي في المستقبل مزوَّداً بقوى من الرب الذي اختاره لينفِّذ مهمته، وهي تخليص بني إسرائيل من الأعداء، ويقيم لهم مُلْكاً عظيماً، ويُخضع باقي الأمم الأخرى لسيطرته الدينية والسياسية.

وبهذا تطورت فكرة الخلاص، وأصبح لفظ المسيح يطلق على المخلِّص، وكانت الفكرة قد اختمرت في عصر ما قبل مجيء المسيح عيسى بن مريم إلى الحاجة إلى المخلِّص، وقد رأى الشعب اليهودي أن هذا المولود الجديد سيكون هو المخلِّص، وسوف نرى ماذا حدث بعد ذلك.

---

(١) سفر الخروج ٣٠/٢٥ ـ ٢؛ والمسيح، لمجدي مرجان، ص ٩.

هل كان الشعب اليهودي
في حـاجة إلى مخلِّص؟

كان اليهود في حالة سيئـة جداً سيـاسياً ودينيـاً واجتماعيـاً واقتصاديـاً. فالحكومة الرومانية تستعمرهم وتفرض عليهم الضـرائب غير المحتملة، كمـا كانت الطوائف الدينية في منازعات دائمة فيما بينها للحصول على دخل أكبر من غيرها، مما جعل الشعب يئن ويطلب إلى الله الخلاص.

أمـا الحكام سـواء من كان منهم نـائباً عن السلوقيين أو عن الـرومان، فكان الإنفاق والبذخ رائدهم دون مراعاة لحالة الشعب الفقير.

يضاف إلى ذلك كله سوء الأحوال الاجتمـاعية، والفسـاد والزنـا الذي كـان مظهـره العلاقـة السيئة بين هيـرودز أنتياس حـاكم منطقـة الجليل وبين هيرديا امرأة أخيه، ثم طلاقها دون الخضوع لما تقره الشريعة اليهودية.

من هو المخلِّص عند اليهود؟

لقد ظنوا باديء الأمر في عهد المسيح عليه السلام بأنه هو المخلِّص، ومسحوه بالـزيت، ولكن خاب فـألهم، إذ أن عيسى جاء ليصلح مـا فسد من قلوبهم، وأخذ يتخذ طريق إصلاح البيت من الداخل أولاً ثم خارجه ثانياً.

رأي الأستاذ شورر عن حالة اليهود:

جـاء في كتـاب الشعب اليهـودي في عصـر المسيـح لـلأستـاذ شـورر ما يأتي:

لم تترك الشريعـة شيئاً ليصبـح الإنسان حـراً بل جمّـدته، إذ كـان كل يهودي يسأل نفسـه في كل دقـة من دقات قلبـه: ما هي الـوصايـا والفرائض الواجب عليّ عملها عند العمل.. عند الصلاة، عند الأكل.. وهكذا يصبح

الإنسان قلقاً لأنه قد يخطىء في أية لحظة، وتصبح هذه الفرائض عبئاً ثقيلاً على الإنسان، ويعتقد أنه لا يمر يوم إلاَّ وقد أخطأ، حتى قيل إن الحياة عبارة عن جرائم، وذلك لأن الفرائض كبيرة ويتبعها كثرة الأخطاء، وأصبح القلة من الناس هم القادرون على تأدية الفرائض الثقيلة والتي لا يحتملها أحد.

وإن من ينظر إلى كلام النبي «ميخا» يرى أن الدين يُسْر لا عُسْر؛ إلاَّ أن بعض رجال الدين لم يعملوا بذلك، وأدخلوا قوانين ناءَ بحملها الناس وأصبحوا غير قادرين على تأديتها، فمثلاً انظر فرائض يوم السبت: كان اليهودي في حَيْرة من كثرة هذه الفرائض، التي لم يأت بها الأنبياء الذين كان لهم تأثير قوي قبل فترة السبي وأثنائه، ولكن لما تهدَّم المعبد وخرب وقفت تعاليم التوراة واتجه الناس إلى الشريعة بعد السبي ورجوعهم إلى فلسطين، ثم أُعيد بناء المعبد، وأصبح الذي يتجه إليه اليهود. وفي ذلك يقول الأستاذ شارل في كتابه «بين التوراة والإنجيل»: منذ عهد نحميا انقطعت النبوة، وأصبحت الشريعة هي السائدة وقام العلماء بشرحها، وفي نفس الوقت أمِلَ الناس أن يظهر نبي، وأصبح الناس منذ عهد عزرا ونحميا يستمعون إلى شروحات العلماء وليس إلى ما جاء في كتب أنبياء ما قبل السبي.

يسوع واشتقاقها اللغوي

لدينا ألفاظ يدل معناها على المخلِّص، والمساعد، والمصلح، والمعلِّم، فما علاقة هذه الألفاظ بلفظ يسوع؟

إن كلمة يسوع معناها مخلِّص، وقد سُمِّي بها عيسى عليه السلام، كما سُمِّي بها شخص يهودي صار مسيحياً يدعي بسطس وكان هذا الرجل مع بولس الرسول.

وجـاءت الكلمة يســوع من لفظ يشوع. وهنـاك من تسمَّى بهذا الاسم مثـل يشـوع بن نـون، وكـان اسمــه هـوشــع، ولا فـرق بين السين والشين (س = ش) في اللغة العبرية، حيث إن بعض القبائل العبريـة تنطق ش بـدلاً من س، والبعض الآخـر ينطق العكس، وهنـاك يشعى وهو مخلِّص، وهنـاك يشعيا وهو اسم عبري ومعناه مخلِّص، ويهوه هو إله اليهود.

وهناك أيضاً (هوشعنا) وهي الكلمة التي كان الشعب يقـولها يـوم دخل المسيح أورشليم (وهوشعنا) أي خلصنا يا ابن داود.

وهنـاك أيضاً (شعـانين) ويـطلق على يـوم الأحـد الـذي دخـل السيـد المسيح فيه أورشليم وتعني الخلاص.

وسُمِّي عيسى باسم يسوع لأنه مخلِّص شعبه[1].

● ● ●

---

(١) أين ولد المسيح، ص ٤٩، تأليف القمص سيداروس عبد المسيح.

المهـدي المنتظـر

المـهـدي:

المهـدي في اللغـة العـربيـة اسم مفعـول من هَـدَى، يقـال هـداه الله الطريق أي عرفه ودلَّه عليه وبيَّنه له، فهو مهـدي. ولـم ترد في القـرآن كلمة المهدي وإنما ورد المهتدي، قال تعالى﴿ومن يهد الله فهو المُهْتَدِ﴾[1].

وورد الهادي أيضاً في القرآن الكريـم: ﴿ولكل قوم هاد﴾[2].

المهـدي والمهدويــة

المهدي إمام منتظر يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جـوراً[3]، وقد نـادى بذلك طائفة الشيعة، وتأثروا بالمذاهب القديمـة في هذا الأمـر، وكان أظهـر ما تأثـروا به النبـي إيليـا والنبـي إليسع وهمـا من أنبياء اليهـود، إذ قالـوا بأن النبـي إيليـا رُفع إلى السمـاء وسيرجـع ويعـود إلى الأرض في آخـر الـزمـان لإقامة دعائم الحق والعدل، ويصبح النموذج الأول لـلأئمة المختفين. وممـا زاد تأكيد فكرة المهدي عند الشيعة مـا لحق بهم من مظالم وقعت عليهم في فتـرات مختلفة، ممـا جعلهم يقولـون بأن مخلّصـاً سيأتي وينجيهم من هـذا

(١) سورة الإسراء: آية ٩٧.

(٢) سورة الرعد: آية ٧.

(٣) النبـي إلياهو وأثره في الفكر الديني اليهودي. رسالة ماجستير للأستاذ سعيد عطيـة علي.

الظلم، فهم يأملون أن يظهر بطل أو رجل قوي ينقذهم ويخلّصهم من هذه الشرور التي يرزحون تحتها.

وعقيدة المخلِّص هي فكرة قديمة في الشرق وبعض البلاد القديمة، فهناك مسيحيون ينتظرون عودة ملكهم تيودور كمهدي في آخر الزمان.

كما يؤمن كثير من المسيحيين برجعة عيسى لإنقاذ العالم، كما أن المغول يعتقدون أن جنكيزخان الذي تُقدَّم على ضريحه القرابين كان قد وعد قبل موته بعودته إلى الدنيا بعد تسعة قرون لتخليص قومه من نير الحكم الصيني، وهذا الاعتقاد هو الذي أدّى بالفرس والهند إلى الاعتقاد بالتناسخ.

أما الإسلام فلا يؤمن بالرجعة بتاتاً. . وإن كان بعض علماء الشيعة يؤمنون بها، وهذه الأفكار دخلت من الأديان الأخرى كاليهودية والمسيحية والوثنية، ولكن الإسلام بريء من ذلك كله[1].

• • •

---

(١) بل إن هناك أحاديث وآثار مروية قوية في فكرة المهدي المنتظر يجب أخذها بعين الاعتبار، كما أن هناك أحاديث متواترة في موضوع رجوع عيسى بن مريم عليه السلام، وقتله المسيح الدجال، واتِّباعه دين محمد عليه السلام (الناشر).

الـرجـعـة

الرجعة: معناها الـدور، أو عودة الأشيـاء بعينها إلى الـوجود في آمـاد لا نهـائية، وهي نـظريـة فلسفيـة يـونـانيـة تنسب إلى فيتـاغـورس الفيلسـوف اليوناني.

وقـد تعرضت هـذه النظريـة الفلسفية إلى عـدة انتقـادات لا تمت إلى موضوعنا.

والرجعة هنا في جملتها إحدى المعتقدات اليهودية، وقد كانت الشيعة أسبق الفـرق الإسلاميـة إلى التعلق بهذه الأسـطورة التي ترتكـز في وجودهـا على عاملين:

١ ـ خارجي يهودي كما هو الحال في رجوع النبـي إلياهو بعد رفعه إلى السماء.

وقد دخل هـذا المعتقد إلى البيئـة الإسلاميـة على يد عبـد الله بن سبأ اليهودي اليمني المتمسلم المعروف بابن السوداء، والـذي يرجـع إليه الكثيـر من الأفكار والمذاهب الغريبة على الإسلام.

٢ ـ داخلي: وهو خروج الخلافة من أيدي الشيعة.

والـرجعـة هي عـودة الميِّت أو المختفي إلى الـظهـور إلى الحيـاة من جديد في الدور الأخير دور الاحتضار لهذا الكون.

ويـرجع تفسيـر ذلك إلى وجـود زعيم روحي أو سيـاسي ذي شخصيـة

قوية تساعده على فرض قوته أو فكره على كثير من أتباعه، فينساق هؤلاء طواعية نحو ضوءه القوي اللماع[١].

والرجعة فكرة قديمة وصلت إلى الإسلام منذ وفاة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام[٢] إذ أنكر بعض الناس موته، ولكن سرعان ما فاؤا إلى الحق بعد أن سمعوا ما جاء في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾.

وقوله: ﴿وما محمد إلَّا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾.

ويرى بعض المؤرخين أن الرجعة فكرة يهودية، بدأت عند اليهود من قصة عُزَير الذي «أماته الله مائة عام ثم بعثه، وقد دخل هذا المعتقد على يد عبد الله بن سبأ اليهودي اليمني المتمسلم المعروف بابن السوداء الذي أدخل الكثير من المذاهب الهدامة في الإسلام مما دعا سيدنا علي إلى قلته»[٣].

● ● ●

---

(١) المهدية في الإسلام، ص ٤٦، تأليف سعد محمد حسن.
(٢) الملل والنحل للشهرستاني، نقلاً عن كتاب المهدية.
(٣) المرجع السابق.

لماذا كره اليهود المسيح عليه السلام؟

كان اليهود يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى سيبعث إليهم برسول يخلِّصهم مما حل بهم من كوارث وأزمات واستعمار أجنبي، وظنوا في بادىء الأمر أن عيسى أتى ليخلِّصهم من كل ذلك، ولكن خاب فألهم، فقد كان عيسى مرسلاً من قبل الرب ليعلمهم الأخلاق الكريمة التي نبذوها وراءهم، وليصلح حالهم بعد أن غرقوا في بحور من الانحرافات الدينية، فالشريعة تُركت جانباً والإصلاح الاجتماعي نُسي تماماً.

وجاء عيسى ليخلصهم من نفوسهم الشريرة قبل أن يخلِّصهم من المستعمر الأجنبي، إذ بدأ عيسى بإصلاح داخل البيت قبل أن يصلح خارجه.. أراد عيسى عليه السلام أن يصلح الشعب أولاً، ثم يقف الشعب وقد خلَّص نفسه من الشوائب التي علقت به أمام المستعمر الأجنبي، لكن الشعب اليهودي بما جبل عليه من صلف وجبروت لم يعجبه الطريق الذي سلكه عيسى ليخلصهم.

أراد اليهود أن يكون المخلِّص قائداً حربياً يحمل السيف ويقود الجيش، مخالفين الآية الكريمة: ﴿إن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[1].

وهكذا اختلف طريق عيسى عن طريق اليهود فبدأت الكراهية بينهما.

---

(١) سورة الرعد: آية ١٣.

ويمكن تلخيص بعض أسباب كراهية اليهود للمسيح فيما يلي:

١ ــ منعه فكرة الذبائح للمفاخرة والتباهي، وقد قال لهم كما قال النبي عاموس قبله: «إن الله لا ينال من لحوم الأضاحي ولا من دمائها، وإن الله لا يريد من عباده إلّا بالتقوى».

وقد ثار عليه اليهود من أجل هذا وعلى رأسهم رجال السنهدرين (مجلس الشريعة).

٢ ــ الحصاد يوم السبت محرم لأنه عمل، والعمل ممنوع يوم السبت، ولكن عيسى أقر الحصاد، فحياة الإنسان أفضل من كل شيء. والحادثة الآتية تبين ذلك: عضَّ الجوعُ الحواريين الذين كانوا مع سيدنا عيسى، فهبطوا إلى الحقل وقطعوا سنابل القمح وفركوها وأكلوها، فاعتبر اليهود هذا العمل كسر ليوم السبت ومخالفة للشريعة التي تأمر بترك العمل في هذا اليوم، وبسبب ذلك كره اليهود عيسى!! وقد رد المسيح عليه السلام قائلاً إن داود عليه السلام أكل من خبز التقدمة في الهيكل وأن الله رب السبت.

وقد حدث أن سقط خروف في بئر يوم السبت، وكانت الشريعة اليهودية تفرض أن يترك هذا الخروف في ذلك اليوم وقد يموت، لكن سيدنا عيسى عمل على إنقاذ هذا الخروف فانتشله من البئر وأنقذ حياته.

٣ ــ تقضي الشريعة بأن يكون النذر للهيكل، لكن عيسى يقول إن حاجة الفرد أفضل من حاجة المعبد.

٤ ــ الختان يوم السبت: تحل الشريعة الختان يوم السبت، بينما تحرم

عمل أي عملية جراحية أخرى في هذا اليوم، فردَّ عليهم المسيح عيسى بقوله:

هل الختان ليس عملية جراحية؟ وكيف يترك مريض يوم السبت وهو مشرف على الموت، ولو أنه تُرك لمات المريض، وقد وجَّه إليهم السؤال التالي: «من منكم يسقط حماره ولا ينتشله».

٥ ــ أخذ عيسى برأي العلامة شمّاي في مسألة طلاق الزوجة، وأنه لا يحق طلاق المرأة إلَّا لعلة الزنا فقط.

٦ ــ كان عيسى من منطقة الجليل، وأهلها في نظر اليهود أقل قيمة من الوثنيين، وهم ملعونون لأنهم لا يعرفون الناموس (الشريعة)، ويقولون عنهم تهكماً: «لعلك أيضاً من أهل الجليل». ويقولون أيضاً فتش وانظر إنه لم يقم نبي من الجليل، أي إن الأنبياء يظهرون من اليهودية، ولهذا أخذوا يتغامزون عندما دخل المسيح الهيكل قائلين: هذا هو النبي يسوع من الناصرة!!

٧ ــ كان يعظ الناس ويعلِّمهم أصول الشريعة، وبذلك كان يهدم تعاليم الأحبار المضلِّلة والتي كانت تعمل على جمع المال من الشعب.

٨ ــ طَرَد الباعة من ساحة الهيكل قائلًا: إن المعبد ليس سوقاً.

٩ ــ تكلم مع المرأة السامرية وأكل معها، وكان هذا خروجاً على التقاليد اليهودية، إذ كان اليهود يقولون: إن قطعة الخبز التي تأكلها مع السامري هي قطعة من الخنزير(١).

١٠ ــ كان يسير مع الخطَّائين لأن النبي جاء ليرشد الخطاة ويشفي

---

(١) المسيح، للأستاذ عبد الحميد جودة السحار، ص ١٠٤.

المرضى، أما الأصحَّاء فلا يحتاجون إلى طبيب وهذا عمل اجتماعي لا بد منه.

١١ ــ إذا كان محرَّماً على اليهودي أن يلبس حذاءً به مسمار يوم السبت لأن المسمار حمل والحمل والعمل محرمان يوم السبت، فكيف يقبل المسيح حمل سرير المريض والذي به عدة مسامير؟ فرد عليهم المسيح قائلاً: «إن الله خلق العالم في ستة أيام، ولكنه لم يتعب، وهو في عملٍ كلَّ يوم».

١٢ ــ محرم على المرأة اليهودية أن تنظر إلى المرآة يوم السبت لئلا ترى شعرة بيضاء في رأسها فتنزعها، وإن نزعها يعتبر عملاً محرماً يوم السبت، لكن المسيح خالفهم في ذلك.

١٣ ــ لو باضت دجاجة يوم السبت هل تؤكل هذه البيضة أم لا؟ اختلف علماء الشريعة اليهودية في ذلك، ولكن المسيح أحلَّ أكلها.

١٤ ــ كان اليهود يبذلون كل جهدهم للتهرب من دفع الجزية للرومان، وكان عقاب المتهرب شديداً، وأراد اليهود بطرقهم الخبيثة أن يوقعوا بين المسيح والسلطة الرومانية، ويستصدروا أمراً منه بعدم دفع الجزية، وحينئذٍ يقع المسيح تحت طائلة العقاب، لكنَّه ردَّ عليهم قائلاً: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» أي أعطوا لقيصر حقه وللهيكل حقه، وبذلك فوَّت الفرصة على اليهود.

السنهدرين وعلاقته بالمسيح

السنهدرين:

السنهدرين محكمة عليا تقوم بالفصل بين الناس في المسائل الدينية

والمدنية، وليس لها علاقة بالمسائل الجنائية لأنها من اختصاص المحاكم الرومانية.

والسنهدرين كلمة يونانية، تعني محكمة أو دار قضاء قامت بدلاً من مجمَّعات دينية كانت مقامة منذ عهد عزرا الكاتب ونحميا في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد.

كان السنهدرين مكوناً من واحد وسبعين عضواً بما فيهم الرئيس.

كانت هناك محاكم في المدن الأخرى تقوم أيضاً بالفصل بين الناس، إلَّا أن عدد أعضائها كان ثلاثة وعشرين عضواً يعينهم السنهدرين.

كان بين قرارات السنهدرين عقوبات الطرد من المعبد والحرمان والعقاب الجسماني، فيصبح المتهم مطروداً محروماً ممَّا يؤدِّي به إلى الخراب المادي والاجتماعي.

علاقة السنهدرين بالمسيح

اتهم السنهدرين سيدنا عيسى المسيح بأنه خرج على قواعد الشريعة، وأراد أن يحاكمه ثم يعاقبه بأحد العقوبات المفروضة مثل الطرد والحرمان، أي أنه حاكمه محاكمة جنائية، إلَّا أن السنهدرين تعدَّى ما هو مخول له فحاكمه بالصلب والقتل، وهذا من حق المحاكم الرومانية. لكن بلاطس نائب الإمبراطورية الرومانية تقاعس عن العمل بحقه هذا وترك أمر المحاكمة للسنهدرين، فتحمل بذلك وزر ما حدث، وإن كان ندم فيما بعد، ولكن بعد فوات الوقت، وهكذا مرَّت المؤامرة، وصدر الحكم على المسيح من قبل رجال السنهدرين.

• • •



اختلاف الأقوال في صلب المسيح

اختلاف الأناجيل:

١ ـ اختلف كلام مرقص عن كلام يوحنا عند مقابلة المسيح عيسى لبلاطس.

٢ ـ اختلفت الآراء حول واقعة حمل الصليب: هل عيسى هو الذي حمل الصليب، أم أن فلاحاً أتى وحمل الصليب.

٣ ـ كيف يقول عيسى: إلٰهي إلٰهي، لِمَ تركتني، وهو يعتبر نفسه إلٰهاً أمام اليهود، وأنه ابن الله؟ وكيف يتركه الله؟ وهذا ادِّعاء يهودي ولم يحدث هذا الأمر من نبي كعيسى عليه السلام.

لماذا صُلب المسيح؟

هل صلب المسيح فداء للناس كافة، أم لخراف بني إسرائيل؟ وهل صلب فداء لمن عاشوا قبل عيسى أي منذ آدم، أم هو فداء للذين جاؤوا بعد عيسى؟

تقول التوراة:

«لا تُقتل الآباء عن الأولاد، ولا يُقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان

بخطيئته يقتل»[1].

وتقول التوراة أيضاً:

«النفس التي تخطىء هي تموت، والابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن».

وهذا ممّا يدحض فكرة الفداء والكفارة من أي شخص تجاه شخص آخر، وبذلك لا يتحمل سيدنا عيسى خطيئة آدم ومن جاء بعده.

رأي الإسلام:

جاء في القرآن الكريم:

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم، واخشَوا يوماً لا يَجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً﴾[2].

فأيهما نسمع ونتبع؟ إن التوراة والقرآن ينفيان أن يحمل أحد إثم أحد آخر، ولكن أحبار اليهود والمسيحية يُدْخِلون في قلوب الناس الخطيئة وأن عيسى فداء لها!!

المؤتمرات الحديثة:

لقد انعقدت عدة مؤتمرات وتنصَّل اليهود من صلب المسيح، فمن الذي صلبه إذن؟ وهل ما قاله اليهود والمسيحيون افتراء على الله؟

---

(١) سفر حزقيال ١٨/ ٢٠.

(٢) الآية ٣٣ من سورة لقمان.

أقوال الحواري (برنابا) حول ليلة الصلب

ولمّا دنت الجنود مع يهوذا الخائن من المحل الذي كان فيه يسوع، سمع يسوع دُنُوَّ جمع غفير، وكان التلاميذ الإحدى عشر نياماً، فجاءت الملائكة الأطهار وأخذوا المسيح من النافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تُسبِّح الله.

يقول بعض المؤرخين:

إن الجند ذهبوا ليلاً حيث يوجد سيدنا عيسى، فوجدوه بين حوارييه وكانوا يلبسون الملابس والليل أشبه بالظلمة، فلم يكن كهرباء أو غاز وإنما شيء أشبه بالشمعة، فكيف يمكن تمييزه من بينهم، كما زعم يهوذا الأسخريوطي!! إن هذا خطأ.

فيهوذا الخائن قد شبَّهه الله بصورة عيسى، وأخذه الجنود وكان مصيره القتل.

الإسلام وصلب المسيح عيسى:

يقرر القرآن الكريم أن عيسى لم يُصلب ولم يُقتل. يقول تعالى:

﴿وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شُبِّه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علمٍ إلَّا اتباع الظن، وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾[1].

---

(١) الآية ١٥٧ من سورة النساء.

الصلب لم يكن من عقيدة اليهود

لم تتحدث التوراة ولا كتب الأنبياء عن الصلب، ولم تعرفه، فهو ليس عقاباً شرعياً أتت به الشرائع الدينية.

بل أتى الصلب على يد أرستوبولس أحد أحفاد المكابيين نقلاً عن الدولتين الفارسية واليونانية، فهو عقاب حديث العهد ولم يحدث أن عمل به أحد ملوك اليهود.

فلماذا طُبِّق على المسيح عيسى؟

كان الواجب على مجلس السنهدرين وهو المكلَّف بتنفيذ العقوبات التي نزلت في التوراة وكتب الأنبياء أن يحكم بعقوبات التوراة، لا بعقوبات ما أنزل الله بها من سلطان، وكيف يحكمون بها وعندهم حكم التوراة وفيها هدىً لهم.

رأي يوسيفوس في الصَّلب

يسجل المؤرخ اليهودي يوسيفوس في كتابه «مأثورات قديمة»، فيما يتعلق بحوادث الصلب التي حضرها بنفسه، أن بعض الرجال المحكوم عليهم بالموت صلباً، تَمَّ إنزالهم عن الصليب، وظل واحد منهم على قيد الحياة.

فماذا حدث لهذا الرجل على الصليب؟

وثمة سؤال: عذاب سيدنا عيسى عليه السلام هل يجعله الله فداء لخطايا الناس؟

لقد عُذِّب أنبياء قبل عيسى وقتلوا، فها هو ذا زكريا يقتل، وها هو ذا يحيى يسجن ويقتل، فهل قال أحد عنهم أنهم فداء لخطيئات الناس؟!

رأي توما الأكويني

يحدثنا القديس المسيحي توما الأكويني عن شكوكه في صحة روايات الصلب فيقول: توجد آراء مختلفة، فيزعم البعض أن ابن الله عيسى كان يتجسَّد حتى ولو لم يخطىء آدم، ويرى البعض غير ذلك، ويبدو أنه الأصوب الانتماء إلى الرأي الثاني(١).

الصَّلب، والمعنى اللغوي لهذه اللفظة

يرى بعض العلماء أن هناك علاقة قوية بين كلمة «صلب» وبين كلمة «جالاب» أو «جلبي» في اللغة التركية منذ عدة قرون، والمستعملة في العامية المصرية بهذا الاسم «شلبي» وقد اختلف أهل اللغة في أصل كلمة «جلبي» فهناك فريق يرى أنها من «جالاب» التي معناها في السريانية «الله». وقد أخذ بهذا الرأي العلامة بارتولد.

ولكن فريقاً آخر يرى أن كلمة «جلبي» آرامية وهو رأي الأستاذ رضا زاده. ويرى فريق ثالث أن كلمة «جلبي» تحريف لكلمة صليب المستعملة في العربية أو هي تحريف صلب.

ويرى العلامة أحمد وفيق باشا أن «جلبي» ليست تركية الأصل، وكان الرهبان من الترك القدماء في آسيا الوسطى في زمن جنجزخان يرددون في صلواتهم الكلمات: جالاب، جليبا، وتشير هذه الكلمات جميعها إلى أمر بعينه هو العبادة ولا تخرج عن هذا المعنى(٢).

• • •

(١) مسألة صلب المسيح، تأليف أحمد ديدات، ترجمة علي الجوهري، ص ١٧٢.
(٢) انظر: بحث الدكتور عمرو عبد الباقي، أستاذ اللغة التركية بكلية اللغات والترجمة ــ الأزهر.

الفصل الخامس

اللغات المتداولة في عهد المسيح عليه السلام



اللغات المتداولة في عهد المسيح عليه السلام

يعتقد كثير من الناس أن اللغة العبرية في فلسطين أيام المسيح هي اللغة الوحيدة المتداولة، وأن الكتابة والمحادثة اقتصرت عليها، والحقيقة بخلاف ذلك، لأن سكان فلسطين في عهد المسيح تخاطبوا بلغات أهمها: اللغة العبرية، واللغة الآرامية، واللغة اليونانية، وكذلك اللغة اللاتينية، وكانت الآرامية أسبق اللغات انتشاراً في منطقة فلسطين، تليها اللغة العبرية، ثم اليونانية.

اللغة الآرامية

اللغة الآرامية هي لغة آرام الذي سكن منطقة العراق القديم والتي تقع بين نهري دجلة والفرات، وكانت هذه اللغة متداولة في مدينة حرَّان التابعة للعراق وموقعها شمال العراق.

ولما ذهب سيدنا إبراهيم مهاجراً إليها عرف اللغة الآرامية، كذلك كان إسحاق ابنه قد تزوج بأخت لابان الآرامي، ثم جاء يعقوب فتعلم الآرامية عن أمه، فعرف أهل فلسطين اللغة الآرامية.

وفي عهد موسى ونزول التوارة كانت اللغة الآرامية معروفة.

وأخذ بعض الأنبياء يكتبون آياتٍ باللغة الآرامية، وهذا ما نراه في كتابات النبي أرميا. وكذلك استمر استعمالها حتى نرى النبي ملاخي آخر أنبياء بني إسرائيل يكتب سفره باللغة الآرامية، ولم يقتصر الأمر على ذلك

بـل جاء بعـده عَزْرا الكـاتب الذي جمـع نصوص التـوراة، واستعمـل بعض النصوص بالآرامية، واستمر العمل بذلك حتى ظهر المسيـح ، فكانت اللغـة الآرامية لغة التداول بين أهل فلسطين.

اللغــة العبريــة

لا شك أن العبرية هي لغة التوراة، وأصبحت لغة القراءة والمحادثـة، إلَّا أن هذه اللغة كان ينتابهاالضعف أحيانـاً والنسيان في أحيـان أخرى، ففي حـالة استيـلاء سنحاريت الملك الأشـوري على يهـوذا لم يتمكن اليهـود من التخاطب مع الآشوريين إلَّا باللغة الآرامية، لأن كثيراً من اليهود نسـوا لغتهم الأصلية وهي العبرية.

كذلك نسي اليهود أو ضعفت عندهم لغتهم بعد السبـي البابلي، ممـا جعل عَزْرا الكاتب يستعمل اللغة الآرامية لشرح النص العبري.

وهكذا ظل الأمر على ذلك حتى إذا ظهر المسيح كانت اللغة العبـرية متداولة مع أختها الآرامية في فلسطين.

اللغــة اليونانيــة

كانت هناك لغتـان متداولتـان حتى قبل استيـلاء الإسكندر الأكبـر على مدن الشرق ومن بينها فلسطين، ولما حكم خلفاؤه فلسطين كان من الطبيعي أن تنتشر اللغة اليونانية لأنها لغة الحاكم، ومن مـظاهر ذلـك ترجمـة الكتاب المقدس إلى اللغة اليونانية سنة ٢٨٥ق.م في عهد البطالسة، واستمر الحال على ذلك حتى جاء الرومان، واستمر استعمال اللغة اليونـانية رغم استمـرار تداول اللغة اللاتينية، ولكن استعمـال هذه الأخيـرة كان بنسبـة أقل بـالقياس إلى انتشار اللغتين: العبرية واليونانية.

اللغـة اللاتينيـة

هي لغـة الإمبراطـورية الـرومانيـة، ولما كـانت رومـا هي التي كـانت تحكم فلسـطين أثناء المسيـح، فكان لا بـدَّ وأن يتعلمها بعض الشعب، إمـا لسهولة قضاء الأعمال، أو لمصالح أخرى أو غير ذلك.

جاء في إنجيل يوحنا ما يأتي:

«وكتب بيـلاطس عنوانـاً ووضعه على الصليب، وكـان مكتوبـاً يسـوع الناصري ملك اليهود، فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود لأن المكان الذي صلب فيه يسوع كان قريبـاً من المدينـة، وكان مكتـوباً بـالعبرانيـة واليونـانية واللاتينية»[1].

والنتيجة هي أن اللغات الأربعة وهي: الآرامية، والعبرية، واليونانيـة، واللاتينية، هي اللغات التي كانت مستعملة في فلسطين أيام المسيح.

ومما يؤكد ذلـك أننا نـرى الأناجيـل الأربعة قـد كتب بعضها بـالآرامية كإنجيل متى مثلاً، كذلك نرى مرقص يكتب إنجيله باللغة اليونانية.

ويرى بعض المؤرخين أن متى كتب إنجيله بالعبرية أو السريانية.

ويـرى المؤرخ حيروم أن متى كتب إنجيله بـاللسان العبـري في أرض يهوذا للمؤمنين من اليهود.

ومن مظاهر استعمال اللغات الأربعة أيام المسيح:

١ ـ استعمال الترجوم وهو التوراة المترجم إلى الآرامية.

٢ ـ قـول سيـدنـا عيسى وهـو على خشبـة الصليب يخـاطب ربـه ـ كمـا

---

(١) إنجيل يوحنا، إصحاح (١٩).

زعموا ـ : «إلٰهي إلٰهي، لما شبقتني» أي لماذا تركتني يا ربي؟! وشَبَق كلمة آرامية بمعنى ترك.

٣ ـ أن بعض حواري المسيح كان يستعمل لغة غير اللغة العبرية.

تأثر اللغة العبرية بغيرها من اللغات

تأثرت اللغة العبرية بعدة لغات في الأزمنة المختلفة:

١ ـ تأثرت باللغة الفرعونية من عصر إبراهيم إلى عصر موسى عليه السلام.

٢ ـ من عصر موسى إلى عصر سيدنا سليمان تأثرت باللغة الفينقية والآرامية.

٣ ـ أخذت تضمحل منذ عصر سليمان إلى عصر عزرا لأسباب، منها: السبي البابلي، وزاحمتها اللغة الآرامية.

وكان من أثر اضمحلال وضعف اللغة العبرية تعيين مترجمين في المعابد لشرح الكتاب المقدس باللغة السائدة وهي اللغة الآرامية، ثم إنه عند انتشار اللغة اليونانية أصبحت أيضاً متفوقة على اللغة العبرية وحتى الآن.

الكتاب المقدس ترجم إليها وأصبح الناس يتكلمون بها، ومع ذلك بقيت العبرية إلى عهد المسيح وما بعده.

لماذا بقيت اللغة العبرية إلى عهد المسيح؟

قلنا إن اللغة العبرية أوشكت أن تُنسَى بعد السبي، وقد دخلت بعض النصوص الآرامية في التوراة، وهناك من وصف اللغة العبرية باللغة الميتة،

إلاَّ أن هذه اللغة بقيت حتى عصر المسيح لأسباب عدة منها:

١ ــ أنها لغة دين والديانة باقية.

٢ ــ لغة الأنبياء أو بعضهم.

٣ ــ لغة الألحان والصلوات.

٤ ــ وجود شعب باقٍ يحاول أن يثبت وجوده.

٥ ــ ضعف اللغة الآرامية لأسباب عدة، وبُعد اللغة اليونانية عن المنطقة.

● ● ●



الفصل السادس

الرسالات الدينية في عصر المسيح عليه السلام

يحيـى عليه السلام ورسالته

النبـي يحيـى هو ابن سيدنـا زكريـا عليهما السـلام، وأمه إلْيَصَـابات. ولـد يحيـى من أب بلغ من العمـر عتيـاً، ومن أم عـاقـر، لـذا كـان مـولـده معجزة، ولكن الله القدير يقول للشيء كن فيكون.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿قال ربِّ أنَّى يكون لي غـلامٌ وقد بلغني الكبـرُ وامرأتي عـاقر؟ قـال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾(1).

ويقول أيضاً:

﴿يا يحيـى خُذِ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً﴾(2).

شبَّ يحيـى يدعو الناس إلى العمل الصالح لأن يوم الدينونة سيـأتي، وسيحـاسب كل شخص على عمله، وأخـذ يـدعـو النـاس أيضـاً للسيـر في الطريق الصحيح، ويعمِّد الناس في البـرية ويبشـر (يكرز) بمعمـودية التـوبة لمغفرة الخطايا.

يقول يحيـى:

«توبوا لأنـه قد يقتـرب ملكوت السمـاوات». أي توبـوا لأن يوم الـرب يقترب ويوم الدينونة قريب. كان يأمر الناس بالاغتسال والتطهر، وكان يساعد

(1) سورة آل عمران: آية ٤٠.

(2) سورة مريم: آية ١٢.

الفقراء، وفي ذلك يقول: «ومن له ثوبان فليعطِ من ليس لـه، ومن له طعـام فليفعل هكذا».

حادثة الزنا وموقف يحيــى منها

شبَّ يحيى في عصـر هيرودز أنتيـاس حاكم منـطقة الجليـل، وأظهـرُ عمل ليحيى هو موقفه العـدائي ضد هيـرودز أنتياس، هـذا الحاكم الفـاسد الذي أخطأ في حق الشريعة، ذلك أن هيرودز تـطلَّع إلى زوجة أخيـه فِلْبس فأحبها، بل شُغف بها حباً، وبادلته حباً بحب، وعـرف ذلك سيـدنا يحيـى، فوقف وقفته المشهورة وقفة نبـي مرسل من عند الله لا يهمه لومة لائم. وقف في وجه هيرودز يقول له بعد أن عرف هـذا الحب الذي انتهى بـطلاق امرأة فلبس وزواجها من أخيه الفاسد.

وقف يحيـى يقـول: «ليس لك حق في أن تتـزوج امـرأة أخيـك وهـو حي ولم تُطلّق بعد»!!

أوجه الشبه بين عيسى ويحيــى

١ ــ القـرابة بينهمـا فامـرأة سيدنـا زكريـا واسمها إلْيصـابات هي أم سيـدنا يحيـى، وهي أخت السيـدة حَنَّة امـرأة عمران، وهي أم السيـدة مريم العذراء أم سيدنا عيسى عليه السلام، فسيدنـا يحيـى ابن خالـة السيدة مريم، ويعتبر عيسى ابن ابن خالة سيدنا يحيـى.

٢ ــ كـانت ولادة كل منهمـا معجزة، فسيـدنـا يحيـى ولـد من أب بلغ من العمـر عتياً، ومن أم عـاقر. أمـا سيدنـا عيسى فهو ابن السيـدة مـريم العذراء التي ولدت عيسى من غير أب.

٣ ــ أخذ كل منهما يكرز (يبشر) في فلسطين في عصر واحد.

٤ ــ يقال أن كُلًّا منهما كان ينتمي إلى فرقة الأسينيين.

٥ ـ لم يندمجا في طائفتي الفريسيين أو الصدوقيين، ولم يتتلمذوا على يد كاهن كبير أو صغير أمثال هلّيل أو شمّاي.

٦ ـ تنبأ سفر أشعيا ببعض النبؤات عن كل منهما، وإن كان بعض علماء المسيحية قد فسر هذه النبؤات كُلٌّ بحسب ما يرى.

أوجه الخلاف بين يحيى وعيسى

١ ـ بدأ عيسى دعوته عندما بلغ الثلاثين من عمره، بينما بدأ يحيى يكرز في سن مبكرة.

٢ ـ عاش يحيى في البرية يلبس الصوف والجلد، ويتخذ من العسل والجراد غذاء له. لكن عيسى عاش في المدن يلبس الملابس البيضاء، ويأكل مما يأكله الحواريُّون كالخبز.

٣ ـ كانت دعوة يحيى موجهة أولاً وقبل كل شيء إلى الحكام، لكن عيسى دعا الشعب دون تدخل في أمور الحكام.

٤ ـ النبي يحيى سجن ثم قتل، بينما المسيح صلب كما يقول اليهود والمسيحيون وهو غير صحيح.

٥ ـ لم يترك يحيى تلاميذاً (حواريين) بخلاف عيسى الذي ترك تلاميذ (حواريين) وقالوا له «يا معلم».

٦ ـ قاوم يحيى الحكام دونما خوف أو وجل، فوقف يؤنب هيرودز أنتياس حاكم فلسطين (منطقة الجليل).

٧ ـ ناقش الحاكم وأدَّى به ذلك إلى سجنه وقتله.

٨ ـ بدأ يحيى رسالته قبل عيسى، بينما بدأ عيسى رسالته بعد وفاة يحيى.

هـيـروديـا

كانت هيروديـا زوجة فليبس ابن هيـرودز الكبير، وكـان فليبس حاكمـاً على الجزء الشمالي الشرقي من فلسطين، وكـانت ذات جمال، ممّـا جذب نظر أنتياس أخي فليبس إليها وتطلع إلى الـزواج منها بعـد تطليقهـا من أخيه الحي وهذا يخالف الشريعة اليهودية.

كانت هيروديا امرأة لعوباً فمـالت إلى هيرودز أنتيـاس وتم الزواج دون النظر إلى الشريعة اليهودية، وأدَّى ذلك إلى قتـل النبـي يحيـى للتخلص من أقواله التي كان يعارض بها هذا الـزواج المخالف للشـريعة اليهـودية، ونتـج عن هذا الزواج ضعفُ مـركز أنتيـاس أمام السلطة الـرومانيـة، مما أدَّى إلى نفيه إلى إسبانيا، وعاش هو وهيروديا وقتاً قصيراً، وتوفيا ولم يهنا بهذا الزواج الفاسد. ويقـال إنها انتحـرت فلاقت ربهـا غير مـأسوف عليهـا، وشربت من الكأس الذي أسقته للنبـي يحيـى عليه السلام.

ثناء القرآن الكريم على يحيـى:

أثنى القرآن الكريم في عدة مواضع على يحيـى منها:

١ ـ ﴿يا زكريا إنا نبشـرك بغلام اسمـه يحيـى لم نجعل لـه من قبل سَمِيّا﴾ [سورة آل عمران: الآية ٢٩].

٢ ـ ﴿وزكريا إذ نادى ربه: رَبِّ لا تذرني فرداً وأنت خيـر الوارثين، فاستجبنا له ووهبنا له يحيـى، وأصلحنا لـه زوجه﴾ [سـورة الأنبياء: الآيتـان ٨٨ و ٨٩].

٣ ـ ﴿وزكـريا ويحيـى وعيسى وإليـاس كل من الصـالحين﴾ [سورة الأنعام: الآية ٨٥].

٤ ـ ﴿يـا يحيـى خُـذِ الكتـاب بقـوة وآتينـاه الحكم صبيـاً﴾ [سـورة مريم: الآية ١٢].

• • •

بعض المؤرخين الذين كتبوا
عن عصر المسيح عليه السلام

١ ـــ يـوسـيـفـوس

يُعدُّ يوسيفوس من أهم مؤرخي القرن الأول الميلادي، بل هـو العمدة الذي يرجع إليه المؤرخون في تلك الفترة. ولد سنة ٣٧م وتوفي سنة ١٠٠، وينتمي إلى عائلة متديِّنة وكان من الفرِّيسيين. ذهب في وفد إلى رومـا وكان عمـره ستة وعشـرين عامـاً، وانضم إلى الجيش الذي ثـار ضد رومـا ولكنـه هزم، وأما يوسيفوس فقد اختفى في كهف مدة، ثم ظهـر بعد ذلـك، ويقال إنه تنبأ للقـائد فسبـازيان أنـه سيصبح امبـراطوراً لـروما، وقـد تحقَّق حلمه، وتقرب إلى الإمبراطور فسبازيان ثم إلى ابنه تيتوس، وتسمّى باسم يوسيفوس فلافيوس. وبعد ذلك استقر في روما وبـدأ يكتب كتبه أولاً بـاللغة الآراميـة، ثم ترجمت إلى اللغة اليونانية.

وقد اهتم المسيحيون بكتبه وحِفْظها لأنها تحوي الكثير عن المسيحيـة والتي كان تلاميذه يقبلونها، وليوسيفوس كتب كثيـرة تتكلم عن خفايـا تاريـخ اليهـود في عصر المسيـح، وعن الحروب والثـورات التي قـامت بين اليهـود والرومان، وكذلك احتوت شيئاً كثيراً عن المسيحية.

٢ ـــ أبـيـون

عالم إغريقي كان يقف موقف العداء لليهود، ولـد في إحدى واحـات مصـر سنة ٢٠ أو سنـة ٣٠ قبـل الميـلاد، وتـوفي سنـة ٤٥ ميـلاديـة، اسمـه الحقيقي «بول جد» Bull God، فسمى أبيون، وقد رُبِّـي في بيت ديدموس،

وعاصر الأباطرة تيريوس، كاليجولا، والمؤرخ يوسيفوس، وألف كتابه عن «تاريخ مصر» مقلداً في ذلك المؤرخ مانيتون.

بعض الكُتّاب الذين درسوا أحوال اليهود في عصر المسيح

١ ــ ألفرد أدرشين:

اعتنق هذا الكاتب المسيحية في الحادية والعشرين من عمره سنة ١٨٤٦م، ثم عين في الكنيسة في إنجلترة، وألف سنة ١٨٨٣ كتاباً عن حياة المسيح وزمنه، وسرعان ما انتشر الكتاب، لكن اليهود انتقدوه وهاجموه لأن معظم ما فيه كان عن الفريسيين، وتكلم فيه أيضاً عن العادات والنظم التي كانت سائدة في عصر المسيح، وكذلك عن يوم السبت وفرائضه. والكتاب يعطينا فكرة صحيحة عن اليهود أيام المسيح.

٢ ــ أميل شورر:

كان شورر يهودياً ألماني الجنسية، ثم اعتنق المسيحية وأصدر عدة كتب ما بين سنة ١٩٠٦ وسنة ١٩٠٩، وكتبه خمس مجلدات وهي عبارة عن دائرة معارف.

٣ ــ شختر:

ألف كتاباً بعنوان مذكرات عن اليهود، وظهر في سنة ١٨٩٦ وتكلم عن المسيحية.

٤ ــ توماس دوكو:

ألف كتاباً عن تعاليم المسيح والتعاليم اليهودية أيام المسيح.

٥ ــ يوسف كلاوزير :

ألف كتاباً سمَّاه المسيح الناصري (حياته وزمنه وتعاليمه) وقد اعتنق اليهودية، وبيَّن في كتابه أن المسيح لم يعلن عن نفسه أنه المسيح المنتظر، ولكن حوارييه هم الذين أعلنوا عن أنه المسيح المنتظر بعد صلبه، وهذا الاعتبار لم يكن يعني شيئاً في نظر غير المسيحيين، وهذا الإعلان يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة.

٦ ــ أوسترلي :

ألف كتاباً عن اليهود إبان الحكم اليوناني، وفيه يتكلم عن ديانة المعبد.

٧ ــ هيرفورد :

ألف كتاباً عن طائفة الفريسيين.

٨ ــ حرافت :

ألف كتاباً عن الأسس الاقتصادية في الإنجيل وقد ظهر الكتاب سنة ١٩٢٩.

٩ ــ لويس كلارك :

ألف كتاباً عن مسائل في العهد الجديد، وهو نقد لكتاب الأسس الاقتصادية الذي ألفه حرافت، وأن ما جاء به حرافت من كلام هو مبالغ فيه، ورد عليه حرافت بقوله: إن ما جاء به له أثر كبير في فكرة المَسْيا.

● ● ●

المصادر والمراجع

١ ــ القرآن الكريم.

٢ ــ التوراة.

٣ ــ الإنجيل.

٤ ــ التلمود.

٥ ــ سالومي أميرة الجليل.

٦ ــ المكابيون ــ تأليف مهندس سمير لطفي.

٧ ــ يوحنا المعمدان ــ تأليف القس مرقص داود.

٨ ــ المسيح عيسى بن مريم ــ تأليف عبد الحميد جودت السحار.

٩ ــ ضريبة الدرهمين ــ ترجمة مليكة صليب يوسف.

١٠ ــ المسيح إنسان أم إله ــ محمد مجدي مرجان.

١١ ــ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ــ محمد عزة دَرْوَزة.

١٢ ــ اليهود في مصر في عصري البطالسة والرومان ــ تأليف دكتور مصطفى عبد العليم.

١٣ ــ الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ــ تأليف د/ محمد ضياء الدين الريس.

١٤ ــ الدية في الشريعة الإسلامية ــ د/ أحمد فتحي بهنسي.

١٥ ــ يوحنا المعمدان (يحيى النبي) تأليف عبد الرزاق نوفل.

١٦ ــ عبقرية المسيح ــ عباس العقاد.

١٧ ــ مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ــ د/ مصطفى العبادي.
١٨ ــ مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ــ هـ أندرس ــ وترجمة د/ عبد اللطيف أحمد علي.
١٩ ــ الدين المقارن ــ المسيحية ــ تأليف أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني.
٢٠ ــ المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية.
٢١ ــ محاكمة يسوع المسيح ــ تأليف فرانك باول وترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم. ومراجعة الأنبا غرغريوس.
٢٢ ــ المهدي والمهدوية.
٢٣ ــ أين ولد المسيح ــ تأليف القمص سيدارس عبد المسيح.
٢٤ ــ مسألة صلب المسيح ــ تأليف أحمد ديدات.
٢٥ ــ مع المسيح في الأناجيل الأربعة ــ تأليف فتحي عثمان.
٢٦ ــ مصر في عصر البطالسة ــ تأليف د/ إبراهيم نصحي.

● ● ●

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني

الفرق اليهودية في عصر المسيح

عليه السلام

الفصل الثالث

الأحوال الاقتصادية في عصر المسيح عليه السلام

الموضوع	الصفحة

الفصل الرابع

الديانة اليهودية في عصر المسيح

عليه السلام

الفصل الخامس

اللغات المتداولة في عهد المسيح عليه السلام

الموضوع	الصفحة

الفصل السادس

الرسالات الدينية في عصر المسيح

عليه السلام

الخاتمة

• • •

كتب أُخرى للمؤلف عن اليهود

١ ـ اليهود ليسوا تجّاراً بالنشأة.
بالاشتراك مع د. حسن ظاظا

٢ ـ شريعة الحرب عند اليهود.
بالاشتراك مع د. حسن ظاظا

٣ ـ مركز المرأة في الشريعة اليهودية.

٤ ـ الربـا عند اليهود.

٥ ـ مركز المرأة في الشريعة اليهودية.

٦ ـ الصوم في الشريعة اليهودية.

٧ ـ التفرقـة العنصريـة.

• • •

صدر عن دار القلم بدمشق

١ ـ **الفكر الديني اليهودي (أطواره ومذاهبه).**

للدكتور حسن ظاظا

٢ ـ **أبحاث في الفكر اليهودي.**

للدكتور حسن ظاظا

٣ ـ **الشخصية الإسرائيلية.**

للدكتور حسن ظاظا

٤ ـ **بذل المجهود في إفحام اليهود.**

للسموأل بن يحيى

٥ ـ **مكايد يهودية عبر التاريخ.**

للأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

٦ ـ **النصرانية من التوحيد إلى التثليث.**

للدكتور محمد الحاج

٧ ـ **الميزان في مقارنة الأديان.**

للمستشار محمد عزت الطهطاوي

● ● ●